سامر إسلامبولي

اليهودية

انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي



NOUR HOURAN
Publishing House

ARRAB
Publishing House

سامر اسلامبولي

اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي

اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي

سامر إسلامبولي

الطّبعة الأولى: 2018م

البريد الإلكتروني: s.islambouli@gmail.com
السويد: 0046734233031

تصميم الغلاف والاخراج الداخلي:
كمال يوسف
ky.design.a2@gmail.com



دار العرّاب
للدّراسات والنّشر والتّرجمة
دمشق – سورية – حلبوني الجادة الرئيسية
هاتف: 00963119402
فاكس: 00963112247922
جوال: 00963940455593
daralaraab@yahoo.com



دار نور حوران



دمشق ــ سورية ــ ص. ب 5658
هاتف: 0096315715430
جوال: 00963933329555
00963941329555
nourpublishing@gmail.com

دراسات نهضوية

اليهودية

انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي

سامر إسلامبولي



دار العرّاب





دار نور حوران

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمـَنِ الرّحِيمِ

﴿يَاأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(الحجرات ١٣)



إهداء

إلى الأحرار، الذين لا يَدَعون الآخرين يُفَكّرون عنهم
الذين يقبلون الحقيقة، ولو كانت تخالف مُعتقداتهم
الذين يجتنبون منهج التَهوُّد، أو التَّنَصُّر في حياتهم
إلى الذين ينتهجون في حياتهم الملة الحنيفية ويرفعون شعار
التعايش، والتماسك، والنهضة
أقدم لهم هذا البحث
تواصلاً، وتفاعلاً، ومحبة.

سامر

فهرس المواضيع

مقدمة

درج جمهرة من فقهائنا على دراسة القرءان بموجب عدسة المجهر التلمودي؛ ما أدّى كنتيجة حتمية إلى زحزحة القرءان، وإحلال التلمود محله في بناء المفاهيم الإسلامية، وصياغة التاريخ، وبذلك يكون قد نجح اليهود في تحريف القرءان من حيث الفهم والدراسة، وجعلوا النَّصَّ القرءاني جسداً هامداً، للتلاوة الصوتية فقط، وكرسوا التلمود للدراسة والتدبر، وصار المسلمون يعتمدون في دراستهم على كل شيء سوى القرءان.

فنحن أمة نتلو ألفاظ القرءان، ونقرأ التلمود، وبمعنى آخر، ننظر إلى القرءان بعيون يهودية!، وقد صيغت الشخصية الإسلامية بثقافة يهودية، **فظاهرنا إسلام، وباطننا يهود،** وها هي المراجع الثقافية، تعج بالمادة اليهودية، ابتداء من تفاسير القرءان، وانتهاء بكتب الأحاديث، التي جردت القرءان من المصدرية التشريعية، والعلمية، وجعلته مُعلقاً على الجُدر، ويُتلى على الأموات فقط!، ويكفي دليلاً على ذلك **قول عُبّاد الإسناد، أو أمة حَدَّثنا: (ما أحوج القرءان للسنة - الحديث -، ولولا السنة لهلك القرءان)**، وقولهم: **(السنة - الحديث - تقضي على القرءان)**، وقولهم: **(الدين نقل، وليس عقلاً)، وأشباه هذه المقولات الضِّيزى، التي تُرسِّخ ثقافة اليهود في قلوب المسلمين، حتى صارت الأمة الإسلامية، أمّة ثرثارة، تُردّد ما قيل وقال، وتَعُدّ حفظ أسماء الرواة، وأحوالهم الشخصية، علماً انفرد به فقهاؤها عن البرِيَّة، وفاتهم أن ذلك ثرثرة فارغة لا تنهض الأمم بها، ولا تستنهض بعزيفها الهمم.**

فيما قام اليهود بصياغة التاريخ، وتاريخ المسلمين العرب بصورة خاصة، كونهم نواة

الإنسانية، فأدخلوا أنفسهم في تاريخ العرب والمسلمين، وانتحلوا هوية بني إسرائيل، وجعلوا إسرائيل هو يعقوب، وبذلك وصلوا أرحام جذورهم بأرومة النسب العظيم، الأنبياء والرسل أئمة الهدى، وزعموا بهتاناً أنهم المعنيون في خطاب الله ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾ (البقرة ٤٧).

نسج اليهود خيوط أكبر مؤامرة في تاريخ الإنسانية، وانطلت المؤامرة على العرب والمسلمين، وصدَّقوا ادعاءهم، فجعلوهم أصحاب فضل وعلم، وأقرُّوا حقهم في المنطقة العربية، بل جعلوا القرءان كتاب تاريخ لليهود وقصصهم، وصرنا تابعين لهم، ولم يبق إلا أن نُعطيهم القرءان، وننسحب من الإسلام، ونترك لهم البلاد، ونوسد لمداسهم أعناق العباد!.

ولخطورة الأمر، وجسامته اقتحمت الصِّعاب، وقررت أن أدرس الموضوع من خلال القرءان، والقرءان فقط، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً﴾ (النساء ٨٧)، لأنه المصدر الوحيد الذي لم تمسَّه أيدي اليهود كنصٍّ (مبنى)، ولو أنها نجحت في تحريف فهمه من خلال التفسير والحديث.

وقصدت من هذا العمل إعادة دراسة مفهوم اليهود والنصارى، ومفهوم بني إسرائيل، والتفريق بينهما، وبالذات دراسة سورة الإسراء، التي نزلت في مكة (التي تُسمى سورة بني إسرائيل) على ضوء هذه المفاهيم، للتخلص من مفهوم أن وجود اليهود في فلسطين هو قدر الله اللازم، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ (الإسراء ١٠٤)، وقوله﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ (الإسراء ٦)، حتى أن اليهود أنفسهم شهروا هذه النصوص سلاحاً في وجه المقاومة بقولهم: إننا قدر الله اللازم، ولا يمكن أن تنتصروا علينا، فألقوا أسلحتكم لعدم جدوى المقاومة، هكذا يقول قرآنكم !.

وإنه لما يصدع القلب، أن فقهاء المسلمين هم من ثبَّت تلك الأوهام التي تخدم اليهود، وأنا أعلم إذ أمتطي متن هذا المركب الوعر، أن أول من يرفض هذه الدراسة هم المسلمون ظاهراً، واليهود ثقافة، ولا أملك إلا أن أقول: حسبي الله ونعم الوكيل.

قبل الشروع في نشر هذا البحث اطلعت على مجموعة من أبحاث قيِّمة تحت عنوان «عندما

نطق السُّراة» وهي دراسة صدرت من جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في البحرين، وقامت بنشر كتبها في دمشق من خلال «دار كيوان»، ولوجود التماثل والتطابق في معظم النتائج التاريخية أثبَتُّ بعضها في المصادر ليقوم القارئ بالرجوع إليها للتوسع في مادة البحث.

المؤلف

سورية – دمشق

١٥ / ٥ /٢٠٠٩

مفهوم الإسلام

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (آل عمران ١٩)

لقد شاع في الأدبيات الإسلامية تعريف الإسلام بأنه الاستسلام، والانقياد التام لله، وهذا التعريف إنما هو من تساهل الدعاة والوعاظ بخطاب الناس، وليس تعريفاً له، ولكن هكذا جرت العادة في التراث، وترتب على هذه العادة ضياع حقيقة معرفة الأمر، وانتشار ما سُمِّي مفهوم الترادف بين الناس خطأ، وهو إمكانية وجود عدة كلمات مختلفة لفظاً متَّفقة بالمعنى، أي: متطابقة في الدلالة رغم اختلافها في المبنى، **ومن المعلوم أن أي اختلاف أو زيادة في المبنى يؤدي إلى اختلاف في المعنى ضرورة، فالإسلام غير الاستسلام**.

فماذا تعني الكلمتان كلتاهما، وما الفرق بينهما؟

الإسلام

كلمة الإسلام من الفعل الرباعي أَسْلَمَ يُسلم إسلاماً، التي تدل على قيام فعل من الإنسان نفسه، نتيجة مُحاكمة عقلية يصل بواسطتها إلى وجوب عملية الإسلام لما ظهر له من أحقِّية، فيقوم بهذا الفعل طوعاً وحراً، وهذا ثابت في واقع حال الإنسان من حيث امتلاكه الوعي والحرية، وثابت في القرءان الذي أتى منسجماً مع فطرة الإنسان، إذ قال تعالى: ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (الحج ٣٤).

وهذا الخطاب الطلبي لا قيمة له لو لم يكن الإنسان قادراً على أن يُسلم لله أو يرفض الإسلام بوعي وحرية، وهذا يدل على أن مجرد توجُّه الخطاب القرءاني للإنسان أمراً ونهياً هو برهان على أنه يخاطب إنساناً واعياً حراً، ومن هذا الوجه لم تذكر كلمة الحرية لفظاً في

الخطاب القرءاني، لأنها تحصيل حاصل مثلها مثل حاجة الإنسان العضوية للهواء، ومن العبث أن تأمر الإنسان بتنفس الهواء، وكذلك الحرية حاجة نفسية فطرية بحاجة لإشباع ذاتي وممارسة على أرض الواقع، فتعلَّق الخطاب الإلهي بها، ولم يذكرها لفظاً، لأنه يتعامل معها مباشرة كواقع، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾ (الكهف ٢٩).

ومفهوم الحرية ينتج عنه ضرورة المسؤولية، والمسؤولية ينتج عنها ضرورة المحاسبة، والمحاسبة ينتج عنها ضرورة الثواب والعقاب، والترغيب والترهيب أسلوب تربوي وتوجيهي أثناء ممارسة الحرية في الامتحان، وهذا لا يتنافى مع حرية الإنسان ابتداء في اختياره، وينبغي عليه أن يتحمل نتيجة اختياره لأعماله، لأنه واع حرٌّ يدرك نتيجة عمله مسبقاً قبل أن يُقدم عليه، والحرية تضيق وتتوسع مع تضيق المعرفة والعلم وتوسعهما، وهذا نظام الحياة وفلسفتها.

قال تعالى: **﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾** (آل عمران ٨٣).

هذا النَّصُّ قد يسيء فهمه بعض من يصيد في الماء العكر، ويدّعي أن النَّصَّ كاذب ومخالف للواقع، حيث إن النَّصَّ خبري، وينبغي أن يكون صادقاً موافقاً مضمونه لمحل الخطاب، والواقع أنه يوجد ناس لم يسلموا لله، مثل اليهود والملاحدة وغيرهم! ويصل إلى أن القرءان كذب أو ينفي مفهوم الحرية في القرءان.

ومعظم هذه الشبهات مردُّها عدم العلم بمنهج القرءان واللسان العربي في عرض المفاهيم وتناولها، فالقرءان كتاب يقوم على منظومة واحدة عامة تحتوي منظومات كلية، التي بدورها تحتوي على منظومات جزئية، والعلاقة بين المنظومات متكاملة ومتداخلة ومنسجمة مع بعضها، والمنظومة الكبيرة تحكم المنظومة الأصغر منها، وذلك مثلها كمثل النظام الكوني أو نظام الجسم البشري، فلا يمكن عزل جزء من منظومته ودراسته وحده! فالنتيجة حتماً هي الضلال، والصواب دراسته في مكانه وفق منظومته التي ينتمي إليها فهو

محكوم بالمنظومة العامة لا يتناقض معها، وهي التي تحكم وتوجه دراستنا وتعرفنا بوظيفة الجزء.

وفي مسألتنا المعنية بالدراسة، مفهوم حرية الإنسان ثابت واقعاً وقرءاناً، فهو ليس محل دراسة أو خلاف، بل ينبغي استصحابه أثناء دراسة أي نص قرءاني واستخدامه كثابت للفهم ومحور للدراسة، فإن وصلنا إلى تشكيل فهم منسجم مع المنظومة فبها ونعمت، وإن لم نصل في دراستنا إلى فهم صواب منسجم مع المنظومة ينبغي تقديم العمل بالمنظومة، وتأجيل دراسة الجزء أو تركه لغيرنا، وعدم استخدام قصورنا الفهمي لنقض الثابت، وهذه طريقة التعامل مع القرءان والعلوم والظواهر الكونية والإنسانية كلها.

ونأتي لدراسة النص

كلمة (أسلم) كما ذكرت سابقاً هي فعل رباعي تدل على الخضوع بوعي وحرية دون إكراه، وحرف (من) يستخدم للعاقل بخلاف حرف (ما) فهو لغير العاقل، أو للإخبار عن الملكية أو الأشياء.

وكلمة (كَرهاً أو كُرهاً) من الفعل الثلاثي: كره يكره كرهاً وكراهية، والكره حالة تدل على نفي الرغبة في الشيء والنفور منه، مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢١٦).

وهذا بخلاف الإكراه فهي من الفعل الرباعي أكره يُكره إكراهاً، وهي حالة ممارسة قمعية ونفي إرادة الغير وإلزامه بسلوك معين دون رضاه، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس ٩٩)، وقوله: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٥٦).

إذاً، كلمة (كرهاً) ليست نقيضاً لكلمة (طوعاً) لأن نقيض كلمة (طوعاً) هي كلمة (إكراهاً)، فالشيء المشترك بين دلالة كلمة (طوعاً) وكلمة (كرهاً) هو أن كلتيهما قائمتان

على الحرية والوعي ووجود الإرادة، وتختلفان بوجود الرغبة والقَبول في كلمة (طوعاً)، ونفي الرغبة أو القَبول عن كلمة (كرهاً)، وكلتاهما متعلقتان بالحرية والوعي دون إكراه، وهذا واضح في حياتنا المعيشية فما أكثر الأفعال التي نقوم بها بحرية ووعي ونحن كارهون لها مثل تناول الدواء، فالنصُّ المعني بالدراسة لا علاقة له بالإكراه لا من قريب ولا من بعيد.

وهذه نصوص تساعدنا على فهم الموضوع أكثر.

﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ **طَوْعاً وَكَرْهاً** وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ (الرعد ١٥)

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ **وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ** وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج ١٨)

يسجد فعل مضارع مستمر يدل على الخضوع عملاً والاندفاع طاعة، وفعل السجود في الواقع نوعان:

أ. سجود كوني سنني حتمي: مثل سجود الشمس والقمر والنجوم...

ب. سجود متعلق بالحرية: مثل سجود الكائنات العاقلة الحرة التي في السموات والأرض.

وأخبر النَّصُّ أنه يوجد كثير من الناس يسجد، وكثير يرفض السجود، وهذا يدل على حريتهم في السجود، ولكن لا يعني ذلك نفي المسؤولية عنهم والمحاسبة.

فكلمة أسلم طوعاً وكرهاً الذي تكلم عنها النَّصُّ تمثلت في الواقع **بتصديق من في السموات والأرض بوجود الخالق** للسموات والأرض دون شريك له، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (العنكبوت ٦١)، وتمثلت **بسجود الكائنات العاقلة الحرة لنظام الوجود الكوني** السنني، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الفتح ٢٣)، وتمثلت **بالنظام القيَمي الأخلاقي الفطري** الذي هو أساس

العلاقات الاجتماعية ومحورها، وهذا مشترك بين صورتي الإسلام الطوعي والكرهي في الواقع، **وتميزت صورة الإسلام الطوعي بالإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، وهو المطلوب** من قوله تعالى: ﴿فَإنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ** وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران ٢٠).

قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات ١٤)

عندما صار للإسلام على أرض الواقع قوة وعزة من جراء تفاعل المجتمع به، وسادت حالة الأمن والأمان لم يعد للأعراب من خيار إلا أن يتظاهروا باندماجهم في هذا المجتمع متظاهرين بالإيمان، فطلب الخالق من نبيه أن يكشف خداعهم، ويقول لهم: لم تؤمنوا ولّما يدخل الأمن والإيمان في قلوبكم، ولكنكم أسلمتم إسلام الضرورة لقوة الحق في المجتمع، ولم تُسلموا لله، لذا، قولوا أسلمنا، أي: اضطرتنا هذه الحالة أن نكون تابعين لهذا المجتمع لانتفاء مقدرتنا على الخروج عليه، فأسلمنا له كرهاً، وليس رضاً﴿وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ وليس لله.

قال تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة ٩٧)، وكلمة الأعراب أتت معرفة وهي تدل على العموم دون استثناء، وهي تدل على الناس الذين خالفوا الفطرة والطهارة النفسية، وغلظ عقلهم وتبلّد سواء أكانوا من سكان البادية، أم المدينة.

فالإسلام الطوعي، هو الأفكار التي تدخل إلى قلب الإنسان قناعة، وصدقاً، ويُحوِّلها إلى مفاهيم يُكيِّف سلوكه بحسبها، عندئذ يصير مؤمناً، أمّا إذا بقيت أفكاراً مجردة كمعلومات لا واقع لها أبداً في حياة هذا الإنسان، فلا يحل حلالاً، ولا يحرم حراماً، ولا يفعل واجباً، يصير مثل الأعراب تماماً لم يدخلوا إلى دائرة الإسلام الطوعي، ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ **إسلام الضرورة نتيجة قوة الحق والمجتمع.**

فالإيمان (الإسلام الطوعي) هو انقياد وعمل، وليس مجرد التصديق بالأفكار، والعلاقة جدلية بين الإيمان والإسلام، إذ الإيمان حركته من الداخل إلى الخارج، والإسلام من الخارج إلى الداخل.

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ (محمَّد ١٩)

فمجرد العلم بالأمر، لا يعني بالضرورة أن صاحب العلم أسلم لما عَلِمَ، لأنه يمكن ألاّ يُسلم لما علمه، ويكفر به (التغطية والإنكار) في واقع المقال، **فالعلم هو الخطوة الأولى لعملية الإسلام الطوعي**، وهو الباب للدخول منه إلى رحاب الإسلام، دين الله العظيم.

إذاً، يلزم لعملية الإسلام (الطوعي) العلم، والإرادة الواعية الحرة ابتداء، فإن أسلم الإنسان حقاً، صار مؤمناً، وإن لم يسلم، فهو أمام احتمالين:

الأول: إسلام كرهي، وهذا لا يعد إيماناً بالله وإنما مجرد تصديق بوجود الخالق، والسجود لسنن الكون، والتقيد بالنظام القيمي الأخلاقي الإنساني. وهذا موجود تحت مسمَّيات كثيرة من أهمها الربوبيون[1]، والعلمانية المادية في أحد معانيها....

الثاني: إسلام كرهي، ولكنه كافر بالقيم والأخلاق والعمل الصالح ويصير مجرماً. قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ *مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم ٣٥- ٣٦) مع الانتباه إلى أن كلمة الكفر تدل على موقف تغطية بجهد للشيء، وليس على قناعات!

فمقابل الإسلام، يكون الإجرام، ومقابل الإيمان، يكون الكفر كضدين نقيضين احتماليين ثنائيين لحتمية الحقيقة الواحدة.

---

١ الربوبيون اسم اصطلاحي لجماعة تثبت وجود خالق للكون ، ولكن تنفي عنه تدخله في تدبير أمور الكون، فهو إلحاد من نوع آخر، والنتيجة واحدة تعطيل هيمنة الخالق وتدبيره لأمور الكون ، ويترتب عليه نفي اليوم الآخر، والقول بأن الدين أصله من البشر حسب تطورهم الاجتماعي.

الاستسلام

الاستسلام من الفعل السداسي استسلَم يستسلم استسلاماً، ويدل على الخضوع والعجز دون إرادة مع الإكراه، وذلك نتيجة ممارسة ضغط عليه أو قهر، ومن ذلك الوجه نقول: استسلم الأعداء في المعركة. إذا انقادوا قهراً وعجزاً وضعفاً بعد أن كانوا محاربين وأعداء، **فالاستسلام ابتداء لفكر، أو قائد هو انقياد أعمى مذموم، يُورد صاحبه المهالك، ويجعل من صاحبه عبداً ذليلاً خاضعاً لا إرادة له.**

قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٥٦)، **فعملية الاستمساك بالعروة الوثقى أتت نتيجة الكفر بالطاغوت انطلاقاً، والإيمان بالله ابتداءً، والكفر موقف براء وانخلاع، والإيمان موقف ولاء وانتماء.**

وإذا حصل هذا الأمر يكون الإنسان قد استمسك بالعروة الوثقى. نحو أن نقول: من أمسك بالإيمان فقد استمسك بالعروة الوثقى. **فتكون عملية الاستمساك بعد فعل (أمسك)** وليس قبله أو معه.

والخالق طلب من الناس فعل الإسلام الإيجابي الفعّال الطوعي، وليس الاستسلام الإكراهي السلبي المنفعل.

قال تعالى:

﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ المُخْبِتِينَ﴾ (الحج ٣٤)

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ (البقرة ١٣١)

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ (غافر ٦٦)

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ﴾ (آل عمران ٢٠)

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (النساء ١٢٥)

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (آل عمران ١٩)

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة ١٣٣).

ونخلص في النهاية، إلى أن من أسلم لله، فقد انقاد له بصورة واعية، وإرادة حرة، بينما من استسلم يكون قد انقاد قهراً بصورة عمياء دون علم أو إرادة واعية، **وشتّان ما بين الإسلام المنبثق من الوعي والحرية، والاستسلام المنبثق من القهر والعجز والاستعباد.**

ولقد أنزل الله ديناً واحداً بدأ بنوح، واستمر منساباً بلطف في سياق حركته التاريخية إلى إبراهيم وموسى وعيسى، ليصل إلى محمَّد، وهذا الدين، سماه الخالق - ابتداءً- الإسلام منذ نزوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (آل عمران ١٩).

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران ٦٧).

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة ١٣٢).

وإذا كان الأنبياء كلهم مسلمين لله، فمن الطبيعي أن يكون أتباعهم مسلمين، وليسوا يهوداً أو نصارى...

فالقاعدة الفكرية كانت واحدة، وهي الإيمان بالله، واليوم الآخر، والعمل الصالح، ﴿إِنَّ

الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٦٢).

وهذه القاعدة تمثل أركان الدين الإسلامي، لأن من المعلوم أن أركان البناء تكون في بدايته وليس في نهايته! ولذلك كل أتباع النَّبيِّين دينهم الإسلام.

الشرع بمحوريه الإسلامي والتاريخي

أخذ الشرع محورين:

المحور الأول: شرع له صفة الثبات ابتداء، وذلك لا تصافه بالإنسانية، والعالمية، فأخذت هذه الأحكام صفة الشرع الإسلامي، التي كانت تنزل تِباعاً على كل رسول نبي حسب معطيات واقعه، وتتراكم بناءً من رسول إلى رسول، إلى أن وصلت إلى آخر رسول، فتمَّ ختم النُّبوَّة لاكتمال الدين.

المحور الثاني: شرع كان ينزل على السابقين من الرسل النَّبيِّين بجانب الشرع الإسلامي، كمنظومة أحكام مرتبطة بظروف مرحلية اجتماعية خاصة لقوم الرسول، مُشَكّلةً شرعاً قومياً عينياً تاريخياً، يَخُصُّ ولا يعمُّ، يُعدَّلُ ويُنسَخُ عند كل بعث رسول نبي جديد.

واستمرت حركة الشرع بمحوريه الإسلامي، والتاريخي، الأول يتراكم بناءً ويكبر مع الزمن، **والآخر** يتقلص وينكمش مع الزمن، إلى أن أراد الخالق المدبر إتمام نعمته وإكمال الشرع الإسلامي بناءً على معطيات فكرية ولسانية وصل إليها الجنس الإنساني عموماً، وهي بداية الرشد واكتمال اللسان العربي صوتاً ونظاماً، فَمَنَّ على الناس ببعثة النَّبيِّ محمَّد، وأنزل القرءان (الكتاب الجامع)، وأعاد فيه كل ما نزل من الشرع الإسلامي سابقاً، وأكمله بناءً، ونسخ كل الشرع القومي العيني، ولم يبق له أثر في القرءان. فصار القرءان هو الكتاب الجامع للشرع الإسلامي كاملاً.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ (المائدة ٣).

بينما تحتوي بعض الكتب السابقة على أجزاء من الشرع الإسلامي، والآخر شرع قومي عيني.

وهذا يوصلنا إلى أن دين الله هو الإسلام، ولا يوجد ما يُسمَّى بتعدد الأديان السماوية، وبالتالي **من الخطأ أن تكون الدعوة إلى تقارب الأديان، وإنما ينبغي أن تكون الدعوة إلى التعايش السلمي، والتعارف، والتعاون بين أتباع الأنبياء والرسل، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** (الحجرات ١٣).

فالصراع بين الناس ليس دينياً، وإنما هو صراع سياسي واقتصادي، فجميع أتباع الأنبياء والرسل، دينهم الإسلام، أما شرعهم فهو مؤلف من قسمين:

الأول: أحكام لها صفة الشرع الإسلامي (إنساني عالمي).

الثاني: أحكام لها صفة الشرع القومي العيني، وهي المعنية بالنسخ والتعديل، بخلاف الشرع الإسلامي، فلا يصح نسخه أو تعديله أبداً، لأنه إنساني عالمي ابتداءً، ولذلك نجد أن النسخ كان غالباً بين شرع سابق، وآخر لاحق، وما حصل من نسخ فيما نزل على محمَّد، إنما حصل لشيء نزل خارج النَّصِّ القرءاني، نحو التوجه لجهة الشمال في الصلاة، ونُسخ ذلك بالقرءان والأمر باستقبال المسجد الحرام، أو خبر قرءاني عن حكم توراتي نسخه القرءان مثل نص ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة ٤٥)، أما ما نزل من أحكام في القرءان خطاب للمؤمنين فلا يصح نسخه أبداً، ولم يقع ذلك في الواقع.

فدين الله الإسلام، يجمع جميع أتباع الأنبياء والرسل، والشرع الإسلامي قد اكتمل بناءً، ورضيه الخالق للناس عموماً، والأمر أشبه ببناء كبير مؤلف من عدة طبقات، فأساس البناء واحد، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٦٢)، والطبقات بمثابة المراحل التاريخية، فكل من يسكن في هذا البناء يعتمد على أساسه، وينضبط بنظامه، بصرف النظر عن الطابق الذي اختاره،

أو طريقة معيشته داخل سكنه، بشرط أن لا يضر بأساس البناء، ومن هذا الوجه ظهر **نظام الثابت والمتغير**.

فالنظام الثابت بين الناس هو القيم والأخلاق والوصايا العشر التي تقوم على التعايش، والتماسك، والنهضة، والنظام المتغير يدور في حياة الناس الخاصة حول محور النظام العام الثابت.

ومفهوم الله عند الناس جميعاً على أرض الواقع هو المحبة، والعدل، والخير، والصلاح، والتعاون، والتعايش، فدين الله يجمعنا على المحبة، بخلاف عقيدة الناس، فإنه ينتج عنها الظلم، والفساد.

والاختلاف بين الناس، ليس اختلافاً في دين الله، وإنما اختلاف في دين الشيطان، الذي يحاول أن يعرض عقيدته تحت دين الله، ومن خلاله، ليخدع بُسطاء الناس، ويظنون أنه دين الله، **وتجري الحروب والويلات، وتسيل الدماء باسم الدين، وهو منهم براء، لأن قادة الظلم والفساد، يعلمون أن الذي يُحرك الناس إنما هو الدين، والدين يحمل مفاهيم المحبة، والخير، والعدل، والحرية، والتعايش، فلا بُدَّ لهم من تحريف الدين، وزرع بذور الحقد، والكره فيه، من خلال اغتيال حق الآخر في الحياة، ونفي رأيه، وحصر واحتكار فكرة الصواب والفلاح في الدنيا، وفكرة الخلاص في الآخرة بفئة واحدة فقط لا غير**، ومحاربة الفكر والعلم، ونشر الخرافة والتابعية للرجال، ليتمكن الفراعنة من استخدام الدين وَقوداً للحرب والطغيان، ويحشدون الناس عليه، ويضربون المجتمعات الأخرى بهم لتحقيق المصالح الخفية المتمثلة بالاقتصاد والسياسة.

فالرب واحد، والدين واحد، وشرعه الإسلامي نلتزم به كلنا، ومن أراد الوقوف في شرعه عند مرحلة تاريخية معينة، فهذا شأنه، ولا ينفي عنه صفة الدين الإسلامي عموماً.

أما مفهوم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران ٨٥) هو، أن الرفض يكون من الناس في الدنيا، لأن الإسلام دين العلم والفطرة، وهو دين أتباع الأنبياء والرسل جميعاً فمن الطبيعي أن يتم رفض أي دعوة تخالف العلم والفطرة وتخالف القيم والأخلاق والوصايا العشر، ويتم رفضه في الآخرة

أيضاً، لأن هذا الإنسان الذي خالف العلم والفطرة والقيم والأخلاق والوصايا العشر، هو لا شك إنسان قد اتخذ إلهه هواه، وسلك طريق الإجرام ضرورة!.

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (المائدة ٢)

اليهودية والنصرانية
ملتان وليستا دينين

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ (يوسف ٣٨)

نلاحظ أن دلالة كلمة (ملة) ظهرت في الآيتين بصورة الجمع من الناس، الذين يؤمنون بأفكار مُعَيّنة مستمرة خلال الزمن طال، أم قَصُرَ. انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف ٨٨)، بمعنى الرجوع والانضمام إلى جماعتنا وحمل مفاهيمنا، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة ١٢٠)، بمعنى الانضمام والتقيد بجماعتهم، نهجاً وفكراً.

نصل إلى أن دلالة كلمة (ملة)، يلزم لها عملية الجمع المتصل مع بعضه، والمستمر على ذلك، فلا يصح استخدام كلمة (ملة) على فكر لا يحمله، أو يتمثله في الواقع جماعة من الناس. فالجمع من الناس ضروري لظهور دلالة كلمة (ملة)، وهؤلاء الجماعة مجتمعون على فكر معين يتمثلونه في واقعهم المعيشي.

فتكون دلالة كلمة (ملة)، هي الجمع من الناس الذين يحملون منهجاً وفكراً واحداً، ومستمرون على ذلك في الواقع دون توقف عن ممارسة مفاهيمهم

انظر إلى تحليل أصوات أحرف كلمة (ملة) وهي من مل.

م: صوت يدل على جمع متصل.

ل: صوت يدل على حركة لازمة مستمرة متصلة بطيئة.

وجمع الأصوات بترتيب كلمة (ملة) يوصلنا إلى المعنى الإمام للكلمة، الذي هو: جمع متصل متحرك باستمرار وبطء دون توقف.

وبعد هذا الشرح، والوصول إلى المعنى الإمام لكلمة (ملة) نستعرض الصور الأخرى، التي تم استخدامها في النَّصِّ القرءاني.

مثلاً:

١-﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ﴾ (البقرة ٢٨٢)

ففعل الكتابة غير فعل الإملاء. فما هي الصورة التي ظهرت لفعل الإملاء في الواقع !؟

نلاحظ أن فعل الإملاء، هو قيام الإنسان باختيار كلمات معينة (جمع متصل) يقوم بلفظها على الآخر بصورة مستمرة بطيئة. وهذه الصورة، هي المستخدمة في الثقافة المدرسية من خلال عملية الإملاء على الطلاب.

٢-﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (الرعد ٣٢).

نلاحظ من خلال سياق النص، وإسقاطه على محله من الخطاب، أن صورة دلالة كلمة (أمليت)، أتت بصورة استخدام الجمع المتصل من الزمن، واستمراره ببطء، مع عملية الإملاء لهم من وعد ووعيد، ونذارة وبشارة. ولتقريب ذلك نقول: بمعنى المهلة الزمنية، من باب تفسير الشيء بمآله.

لذا، ينبغي تثبيت دلالة الكلمة الإمام أولاً (المفهوم)، وبعد ذلك ندرس صور ظهورها، واستخدامها في الثقافة من خلال إسقاطها على محلها من الخطاب (المعاني)، وملاحظة تحقق دلالة الكلمة الإمام في كل الصور المستخدمة.

وبعد هذا العرض نصل إلى الفرق بين كلمة (**ملة**) وكلمة (**دين**).

الدين: هو اسم لما يدين الإنسان به من فكر وإيمان، وما ينبثق منهم من شريعة ونظام سواء حمله فرد أم جماعة، لا يستمد وجوده من الناس.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (آل عمران ١٩).

الملة: هي منهج وفكر يحملهما مجموعة من الناس، ويستمرون عليهما، بصرف النظر عن صوابهما أو خطئهما، ومن هذا الوجه تظهر العلاقة بين الدين، والملة.

فالإسلام دين الله ارتضاه للناس، والذي حقق الصورة الصائبة لهذا الدين على أرض الواقع منهجاً وفكراً، هو النَّبيُّ الإمام إبراهيم، لذلك أمر الخالق باتِّباع ملة إبراهيم.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ﴾ (الحج ٧٨). وترك المِلل الأخرى التي تعد نفسها تحمل دين الله. مثل ملة اليهود، وملة النصارى.

لذا، **من الخطأ الفادح استخدام كلمة الدين اليهودي، أو النصراني...إلخ، فالخالق لم ينزل إلا ديناً واحداً، هو الإسلام، وهذا الدين قائم على محور ثابت لم يتغير منذ بدء نزوله، ألا وهو محور أحدية الله والعمل الصالح،** ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٦٢).

والباحث الحصيف، يتلمس بوضوح خطوط بناء محور تشريعي متصاعد عبر التاريخ، له صفة الإنسانية، والعالمية، ينزل تباعاً، ويتراكم حسب ما يسمح به المستوى المعرفي للأقوام، إلى أن تم بناؤه في بعثة النَّبيِّ محمَّد، ونزل هذا الشرع كاملاً في القرءان، واكتمل الدين، فاقتضى ختم النُّبوَّة. وصار الشرع القرءاني شرعاً إسلامياً (إنسانياً) أبدياً.

النتيجة:

أنزل الله ديناً واحداً فقط، هو الإسلام، أما الملة فهي المجموعة من الناس التي تمثلت هذا الإسلام بصورته الصواب، بقيادة إمامهم النَّبيِّ إبراهيم، وكان النَّبيُّ محمَّد مُتبعاً للنَّبيِّ إبراهيم أبي الأنبياء خاصة، والأنبياء عامة من حيث أحدية الله والمنهج ﴿**أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ**

هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام ٩٠).

لذا، ينبغي حذف مقولة الأديان السماوية أو تعددها، وحصر ذلك في الدين الإسلامي فقط، وكذلك كلمة الشرائع الإلهية، ينبغي حذفها، لأن الشرع الإسلامي واحد، بدأ نزوله منذ أول رسول نبي، وأُكمل في بعثة النَّبيِّ محمَّد، خلاف الأحكام الشرعية الخاصة فهي شرع ظرفي تاريخي.

فالرب واحد، والدين واحد، والشرع الإسلامي واحد، وجميع الأنبياء والرسل دينهم الإسلام، والانتباه إلى أن اليهودية والنصرانية ليستا دينين، وإنما هما ملتان، تُقابلان ملة النَّبيِّ إبراهيم، التي اسمها الملة الحنيفية.

اليهود غير الذين هادوا

لقد تم خلط بين دلالة كلمة (اليهود)، وكلمة (هادوا)، نظراً لاشتراكهما بالجذر ذاته، الذي هو (هد)، وذلك بعد إزالة أحرف المد، فيخرج منها لفظان، وهما، (**هَوَدَ، وهادَ**)، وهذا الأسلوب في اللسان العربي معروف ومستخدم، انظر إلى كلمة (الرحمن)، وكلمة (الرحيم)، فكلتاهما خرجتا من جذر واحد، وهو (رحم)، ولكنَّ دلالتيهما مختلفتان، انظر إلى استخدام القرءان لكليهما؟

الرحمن:على وزن فعلان، مثل شبعان، حيران، كسلان، نجد أنها متعلقة بالحالات الثنائية، الضدية، فصفة (شبعان) يكمن في داخلها ضدها، التي هي (جوعان)، ولا يمكن وجود أحدهما دون تصور الآخر، وصفة (الرحمن) أُطلقت على فعل الله، لأنه قام بعملية الخلق على قانون الثنائيات، فتعلقت كلمة (الرحمن) بالاستخدام القرءاني بصفة العلم، والخلق، والفعل، ولم ترد بسياق الرحمة أبداً، اقرأ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ القرءان *خَلَقَ الإِنسَانَ﴾ (الرحمن ١-٢-٣).

﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ﴾ (يس ٢٣).

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾ (مريم ٤٥).

لاحظ كيف أتت كلمة الرحمن في سياق الضر والعذاب، وهذه الأفعال لا تناسب دلالة كلمة الرحيم، التي تصدر الرحمة الخالصة، واقرأ قوله: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة ١)، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (فصلت ٢).

ومن المعروف أن النَّصَّ القرءاني منزَّه عن الحشو والعبث، وأن كل كلمة لها دلالة مستقلة

عن الأخرى، وأن اختلاف المبنى يؤدي إلى اختلاف المعنى، وبالتالي لا يمكن أن تكون دلالة كلمة (الرَّحْمَنِ)، هي ذات دلالة (الرَّحِيمِ) في مثل قوله تعالى: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ (النمل ٣٠)؛ ما يدل على أن كلمة (الرَّحْمَنِ) تدل على صفة إيجاد الفعل بصورة ثنائية من خلال عملية الولادة من علاقتهما ببعضهما، وتم التعبير عن ذلك بقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ (طه٥)، وكلمة (الرَّحِيمِ) تدل على المغفرة والتجاوز عن الأخطاء، والمعاملة للآخر من منطلق الكمال والأحسن، **فالرحمن، يفعل ويُوَلِّد الأشياء من العلاقات الثنائية، والرحيم، يرحم.**

فماذا تعني كلمة (هد) ؟

هـ: صوت يدل على تأرجح خفيف منضبط.

د: صوت يدل على دفع شديد.

وجمع الصوتين بترتيب كلمة (هد) يدل على عملية أرجحة منتهية بدفع شديد نحو جهة مُعينة، نقول: هَدَّ الرجل الجدار، إذا قام بعملية أرجحة الجدار وهزه إلى أن يندفع إلى اتجاه معين، ونقول: هَدَّ الطير على الغصن، إذا أوقف حركة أرجحته واندفع إلى الغصن مستقراً. ومن كلمة (هد) خرجت كلمة (هاد)، التي أضيف لها صوت (آ) بعد صوت (هـ)، ليعطي للأرجحة صفة الإثارة والامتداد في الجهة التي يريد أن يدفع نفسه إليها، فلم يتم الدفع مباشرة، وإنما حصل الدفع بعد عملية الإثارة والامتداد.

أما كلمة (هَوَدَ) فقد أتى صوت (و) ليضيف إلى حركة الأرجحة صفة الضم الممتد، وبعد ذلك تم الدفع حسب ما حصل، فنلاحظ، أن صوت (و) لم يحدد جهة الأرجحة، وإنما توجهت حركته إلى كليهما معاً، ليصير قوةً تُعيد وتضم الحركة السابقة إلى ذاتها، وأتى صوت (د) ليعطي عملية الضم دفعاً شديداً، ومن خلال تحليل أصوات كلمتي (هَوَدَ، وهادَ) نصل إلى تعريف محدد لهما.

هاد وهَوَد

هاد: كلمة تدل على قيام الإنسان بتأرجح خفيف مع إثارة وامتداد زماني ومكاني ينتهي بدفع شديد، نحو قولنا: هاد الرجل في مشيه بين اثنين، بمعنى تمايل الرجل في حركته بإثارة داخلية مقصودة بامتداد في الزمان والمكان إلى الإمام منتهية بدفع شديد.

هَوَد: كلمة تدل على قيام الإنسان بتأرجح خفيف مع ضم وامتداد مكاني ينتهي بدفع شديد، نحو قولنا: هَوَدَ الرجل في أمره، إذا تأرجح الأمر منضماً على ذاته بامتداد منته بدفع شديد، حيث يصير في الواقع وقوف الإنسان عند أمر معين لا يتجاوزه، **وينغلق عليه بشدة**، ومن هذا الوجه ظهرت كلمة (المهاودة، والتهاود، والهدوء).

وكلمة (هاد) ليست مثل كلمة (عاد)، التي مضارعها (يعود)، وكلمة (قال) ومضارعها (يقول)، وإنما مثل كلمة (صار) ومضارعها (يصير)، وكلمة (سار) ومضارعها (يسير)، وكلمة (صاد) ومضارعها (يصيد)، وكلمة (طار) ومضارعها (يطير)، وكلمة (باع) ومضارعها (يبيع)، **فمضارع (هادَ) هو (يهيدُ)**، وليس (يهودُ)، لأن **مضارع (هَوَدَ) هو (يَهودُ)، مثل (بَوَرَ، يَبورُ)، (حَوَر، يَحور)، (سَور، يسور)، (شَور، يَشور).**

وقد يقول قائل: إن التفريق بين كلمة (هاد، وهود) هو تحكُّم بالنَّصِّ دون برهان، لأنهما واحد، فكلمة (هَود) هي جذر، ومنها هاد يهود هَوداً.

والجواب على ذلك من عدة أوجه:

١- الأصل في اللسان العربي الجذر الثنائي، مثل صد، رد، رش، شر... إلخ، والثلاثي جذر لاحق نما مع ولادة المجتمع وبدء التفكير الإنساني، وأصوات المد ليست من أصل الكلمة، وإنما تضاف إلى الكلمة لتعطيها بُعداً زمانياً، أو مكانياً أو كلاهما معاً حسب دلالة صوت المد.

٢- اللسان العربي لسان علمي منسجم مع الكون؛ ما يدل على أن اللسان العربي محكوم بقوانين كونية، فكما أنه لا يوجد في الكون عنصرين مختلفين في البنية لهما اسم واحد، ظهر ذلك في اللسان العربي تحت مقولة: **إذا اختلف المبنى اختلف المعنى ضرورة**، وأي اختلاف في المبنى هو اختلاف في المعنى حسب الزيادة والنقصان أو التقديم أو التأخير للأحرف.

٣- النَّصُّ القرءاني برهان وحجة في الاستخدام اللساني، وهو قد ميّز في الخطاب بين **اليهود**، والذين **هادوا** كما سنذكر ذلك بعد قليل.

هذه الأوجه هي التي اعتُمد عليها في التفريق بين **هاد، وهود**.

والآن لنرى استخدام القرءان لكل من كلمة (**هادوا**)، وكلمة (**يهود**).

اليهود، وهادوا في الاستخدام القرءاني

المتتبع لكلمة (اليهود) في القرءان يجد أنها دائماً تُذكر بسياق اللعن، والغضب، والذم، ولم يوجه الله خطاب التشريع لهم، ولم يبعث فيهم أنبياء، بخلاف الذين هادوا فقد توجه الشارع لهم بالخطاب والتكليف، وعدم توجيه الخطاب لليهود شيء طبيعي، لأن الناس الذين ارتضوا لأنفسهم صفة (التهود)، لا يصلحون للخطاب، **لأنهم لا يسمعون إلا صوتهم، ولا يرون إلا أنفسهم، وهم أحاديو النظرة إلى الحياة، ومنغلقون على أنفسهم، وعدوانيون، وإرهابيون، وسلفيون في أفكارهم، فهم بمثابة سرطان اجتماعي يهلك أي فكر، أو ثقافة يتكاثرون فيها.**

اقرأ قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة ٨٢).

وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة ٦٤).

فكلمة (اليهود) لا تدل على أتباع موسى، ولا علاقة لهم ببني إسرائيل، فهم ليسوا أتباع أي نبي، ولا يوجد عندهم كتاب إلهي، ولا تدل على عرق، وإنما تدل على ملة مجتمعة على عقيدة معينة، تقوم على النظرة الأحادية، والفوقية، والسلفية، والانغلاق على الذات، ومشبعة بالحقد، والكراهية للآخر إلى درجة إزالته من الحياة، ويتبنون في دعوتهم الإرهاب

والعدوانية، وهذه الصفات لا دين لها، أو جنس، وإنما يمكن أن تنشأ وتتكاثر في أي فكر، أو ثقافة بصورة فيروسية، وبالتالي يصير من ينهج هذا المنحى من التطرف، يهودياً، ولو كان في الظاهر ينتمي إلى الإسلام، أو المسيحية، أو غيرهما.

وهؤلاء (اليهود) الذين ارتضوا لأنفسهم هذا المنهج اليهودي، هم الذين لعنهم الله، وغضب عليهم في كل زمان ومكان، وجعل منهم قردة وخنازيراً. اقرأ قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ (المائدة ٦٠).

والجعل لهم قردة وخنازير، إنما هو تغير وصيرورة في نفوسهم لا مسخ أجسامهم، بمعنى أنهم صاروا مثل القردة في عملية التقليد الأحمق، ومثل الخنازير دناءة وفساداً وخبثاً، وهؤلاء الخنازير والقردة، هم من نَهَجَ فكر التَهود، فصار يهودياً، بصرف النظر عن انتمائه العرقي، أو الطائفي.

لذا، ما ينبغي أن ينتسب الإنسان ذو الفكر السلمي المنفتح على الآخرين، إلى اليهودية، لأن ذلك يُسيء إليه، ويتناقض مع معطيات فكره، ويعرض نفسه للاحتقار من قبل الآخرين الذين لا يعرفونه على حقيقته، وبناء على ما ذكرت ينبغي ضبط المفاهيم، واستخدامها بصورة صائبة، حتى لا يتم الخلط، أو التلاعب فيها، واستغلال العاطفة الدينية للشعوب.

فمن كان ينتسب إلى النَّبيِّ موسى، فليُسمِّ نفسه، موسوياً، أو إبراهيمياً، أو مسلماً، وينبغي حذف اسم إسرائيل عن سلطة اليهود، واستخدام الوصف المناسب لهم، وهو، الكيان اليهودي الغاصب، وتوضيح أن هؤلاء اليهود ليسوا أتباع النَّبيِّ موسى، ولا يُمثلون ذرية بني إسرائيل، وإنما هم كتلة يهودية إرهابية متطرفة، لا دين لها قط.

أما كلمة (هادوا) فقد تعلق النَّصُّ القرءاني بها خطاباً، وتوجيهاً، وأمراً ونهياً، اقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ (المائدة ٤٤).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٦٢).

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل ١١٨).

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً﴾ (النساء ١٦٠).

فكلمة (هادوا) من (هاد) ومضارعها (يَهيد) مثل باع يبيع، وصار يصير، التي تدل على حركة الإنسان بصورة مؤرجحة بإثارة وامتداد زماني ومكاني منتهية بدفع شديد، فهي تدل على حركة الإنسان غير المستقرة، ولكنه يندفع إلى الأمام رغم ذلك، فهؤلاء مضطربون بحركتهم نحو الأمام وقَبولهم للحق، فكانوا محل خطاب من الله، وتوجيه، وبَعث فيهم الأنبياء ليأخذوا بيدهم، ويهدوهم إلى الصراط المستقيم، ونزلت التوراة عليهم، بخلاف اليهود تماماً، فلم ينزل إليهم أي كتاب إلهي قط، ولم يُبعث فيهم أنبياء، ولم يخاطبهم الله إلا بصيغة الغضب واللعن والذم.

أما قوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ﴾ (الأعراف ١٥٦). **فقد استخدم الله كلمة (هُدنا)، وهي لا علاقة لها بكل من كلمة (هادَ) أو (هَوَدَ)، وإنما هي الجذر الثنائي ذاته (هدْ)** وأضيف له ضمير الرفع (نا)، وتدل على الأرجحة المنتهية بدفع شديد، نحو جهة منهما ضرورة، ومن هذا الوجه فُسِّرت بالتوبة، أو بالرجوع إلى الله، وهي بمثابة من دفع نفسه إلى الله إسلاماً.

وكلمة (هُود) هي جمع لكلمة (أهود)، مثل كلمة (عُور) ومفردها (أعور)، وكلمة (أهود) يصح أن تستخدم في وصف الكلمتين (هاد، وهَوَدَ)، وسياق الكلام، ومحل الخطاب من الواقع يحدد المقصد منها، نحو قوله تعالى:﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة ١٣٥).

فحسب سياق الآية تعلقت كلمة (هوداً) بالفكر والمنهج، فتكون من (هَوَدَ)، وليس من

(هاد)، فعندما نقول: إن زيداً أهود في فكره من عمرو، فيعني شدة يهوديته، من (هَوَدَ)، وإذا قلنا: زيد أهود في مشيه من عمرو، فيعني أكثر تمايلاً وأبطأ في حركته، من (هاد)، وبالتالي فدلالة اسم النَّبيِّ (هود) ليست من (هَوَدَ)، وإنما من (هاد).

الخلاصة:

اليهود: كلمة تدل على قوم اتخذوا في حياتهم منهجاً متطرفاً منغلقاً على أنفسهم ضد الحق والخير، وأخلدوا إلى الأرض وتشبثوا بالملذات والشهوات، وأغفلوا وجود اليوم الآخر من إيمانهم.

ومن هذا الوجه، صارت كلمة (يهودي)، شتيمة ومذمة بحد ذاتها، تُطلق على كل من اتصف بهذه الصفات (التطرف والانغلاق والعدوانية)، مع العلم أن اليهود لم يكن لهم وجود في زمن النَّبيِّ إبراهيم، ولا في زمن موسى، وَوُجدوا بعد موسى بزمن طويل، بينما عقيدتهم كانت موجودة كظاهرة لم تأخذ صفة التكتل، انظر مثلاً (عبادتهم للعجل)، وهم كانوا وراء المؤامرة على النَّبيِّ عيسى، ولا علاقة لبني إسرائيل عامة بذلك إلا من تَهوَّد منهم.

فكلمة (اليهود) لا تدل على جنس، وإنما تدل على عقيدة متطرفة إرهابية منغلقة على ذاتها، تكفيرية حاقدة، وما أكثر هؤلاء بيننا بأسماء مختلفة!.

لذا، ينبغي التفريق بين دلالة كلمة (هادوا)، وكلمة (اليهود)، وكلمة (بني إسرائيل).

الأنصار والنصارى

إن جذر الكلمتين هو كلمة (نصر)، ومنها خرج **اسم الفاعل** (ناصر) الذي يدل على **حدوث الفعل منه** وهو مفهوم متعد، وجمعه (ناصرون)، والمبالغة (نصّار) التي تدل على عطاء وقوة ودعم يُبذل من أجل الغير، ومن هذا الوجه سمِّي المسلمون الأوائل من أهل المدينة (أنصار) التي مفردها (نصير)، لأنهم نصروا الدعوة بأموالهم وأنفسهم بعد أن آمنوا بها، انظر قوله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ (التوبة ١٠٠).

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٥٢).

أما كلمة (نصارى) فمفردها (نَصران) على وزن **فَعلان وهي ليست اسم فاعل**، وإنما **صفة مشبهة باسم الفاعل** وهي مفهوم لازم، مثل: كسلان، شبعان، حيران، مرضان، ضعفان، عطشان، سكران... إلخ، وتدل على صفة **حال لازمة للإنسان ذاتياً**.

لذا، لا يصح إطلاق كلمة (نصران) على الله، وإنما نقول: الله ناصر لعباده، وكذلك النسبة لمدينة الناصرة، نقول: **ناصري**، ولا نقول: **نصراني!**.

وبذلك تكون دلالة (نصران) تدل على توجيه الدعم والقوة إلى النفس، لنصرتها على الآخرين دون برهان أو علم، سواء أكان ذلك على حق أم ضلال، بخلاف دلالة (ناصر) التي تدل على نصرة الآخرين بعد الإيمان بقضيتهم.

وصارت كلمة (نصارى) تدل على ملة انتهجت النصرانية في حياتها تنصر معتقداتها دون علم، أو دراسة، أو برهان، واندست تحت المسيحية.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ (البقرة ١١٣).

فكلمة (النصارى) لا تدل على أتباع النَّبيِّ عيسى، لأن أتباع الأنبياء كلهم اسمهم المسلمون، وينصرون الحقيقة، كما قال الحواريون: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٥٢)، **وإنما تدل على منهج في الحياة يقوم على نصرة الذات على الآخرين دون علم أو برهان، وكلمة (يهود) تدل على انغلاق الإنسان على نفسه، ورفض الآخر إلى درجة إزالته من الحياة، والمنهجان مذمومان عند الله، وعند الناس، وقد انتشر منهج التهود، والتنصر بين أتباع الأنبياء والرسل، ودخلوا في الإسلام، وعدّوا أنفسهم أتباع النَّبيِّ موسى، وعيسى، ومحمَّد**، وبلغ الكذب بهم أن زعموا أن النَّبيَّ إبراهيم نفسه كان يهودياً أو نصرانياً في طريقة تفكيره، ومنهجه في الحياة، فَكَذَّبهم الله بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران ٦٧).

لم يُشرك النَّبيُّ إبراهيم مع منهج الله وشرعه أيَّ منهج آخر، ولم يتخذ شرعاً سوى ما أنزل الله عليه.

فتيار اليهود والنصارى سمٌّ فيروسي يَسري في عروق أتباع الأنبياء والرسل، لذا، نشاهد بين المسلمين من أتباع النَّبيِّ موسى، أو عيسى، أو محمَّد (صلوات الله عليهم) من ينتهج منهج التهود، أو التنصر في حياته الاجتماعية، وهو يظن نفسه مسلماً، ومتبعاً للأنبياء والرسل، وفي الواقع هو متبع للشيطان والطاغوت والهوى، ووقع في الشرك، عندما أشرك مع منهج الإسلام الحنيف، منهج التهود أو التنصر، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران ٦٧)، ومع ذلك فالنصارى أقل خطراً من اليهود، لوجود إمكانية التعايش معهم، اقرأ قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة ٨٢).

لذا، ينبغي على أتباع النَّبيِّ عيسى أن يُسَموا أنفسهم مسلمين أسوة بالحواريين ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٥٢). أو مسيحيين، نسبة لصفة المسيح.

﴿إِذْ قَالَتِ المَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران ٤٥)، والواعون لهذه الحقيقة من المسيحيين يرفضون أن يطلق عليهم اسم نصارى.

وأخيراً، وإثباتاً للحق، نجد أنه ليس كل من يُطلق على نفسه يهودي يهودياً، ولا كل نصراني نصرانياً، ويوجد فيهما موسويون ومسيحيون صالحون، شرعوا صدورهم لنسيم الحق، الذي عطر قلوبهم بغبطة الدين القيّم، الإسلام دين العدل، والسلام، والمحبة، رغم التصاق كلمة اليهود أو النصارى بهم تاريخياً نتيجة التحريف والتزوير والتضليل الذي يمارسه كهنة اليهود والنصارى.

النَّبيُّ إسماعيل ليس ابن النَّبيِّ إبراهيم

دراسة هذا الموضوع وبعيداً عن تأثير اليهود في التاريخ وتحريفه لصالحهم، لا بُدَّ من إعادة دراسة الموضوع من القرءان ذاته وترتيب النصوص مع بعضها وفق منطق اللسان العربي ومنطق القرءان لتتكامل الصورة، وهذه محاولة لإعادة ترتيب النصوص، وفهمها من جديد حسب المحكم منها ورد المتشابه لها، مع الانتباه إلى **أن حادث ضيوف إبراهيم هو واحد، والمرأة القائمة على خدمة الضيوف هي ذاتها في النصوص، والبشرى بالولد في النصين متعلقة بواحد.**

البشرى للنَّبيِّ إبراهيم بإسحاق، أَم بإسماعيل؟

نجد أن البشرى حصلت في وقت الأمر بهلاك قوم لوط، وذلك عندما أتت الملائكة إلى النَّبيِّ إبراهيم كضيوف، وكان النَّبيُّ إبراهيم رجلاً كبيراً في السن ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ (الحجر ٥١- ٥٤).

وواضح من النَّصِّ أن النَّبيَّ إبراهيم ليس عنده ولد قبل هذه البشرى، خاصة أنه كبير في السن، ويظن أنه تجاوز مرحلة اللقاح، وصفة هذا الولد أنه عليم.

ونتابع النصوص القرءانية لنعلم من هو الولد صاحب البشرى.

﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالبُـشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ *

قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (هود ٦٩-٧٢).

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ *إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ *فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ *فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ *فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ* فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الذاريات ٢٤-٢٩).

إذاً، النَّبيُّ إبراهيم وصل إلى مرحلة الشيخوخة من عمره وهو لا يمارس الاتصال الجنسي مع امرأته، بدليل استخدام كلمة (بعلي) له بدل زوجي، وكلمة (امرأة) بدل زوجة، وهذا يدل على توقف العلاقة الجنسية بينهما، فهو شيخ طاعن في السن، وهي عجوز وعقيم، وليس عندهما أولاد، وأتى الملائكة بالبشرى، ولم يخبروا بها النَّبيَّ إبراهيم بَعد، بدليل أنه لم يعرفهم، وذهب لإعداد الطعام لهم، وامرأته قائمة على خدمة الضيوف، وهذا لا يعني عدم مغادرة المكان لجلب شيء، لأن كلمة قائمة غير كلمة واقفة، وتمت البشرى للنَّبيِّ إبراهيم بعد أن رجع إليهم، وسمعت امرأته البشرى وهي مقبلة إليهم بصَرَّة، فقالت: عجوز عقيم، وعندما استقر بها المقام توجه الملائكة إليها بالبشرى بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، أي: إن يعقوب ابن إسحاق وليس أخاه بدليل تكرار كلمة (إسحاق) ولم تأت كلمة (ورائه) بالضمير، ويتابع النص:

فضحكت وقالت: ﴿يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ فكيف لامرأة عجوز وعقيم أن تحمل وتلد ولداً إنَّ هذا الأمر مضحك وعجيب، وهذه بشرى الولادة للنَّبيِّ إبراهيم وامرأته بالولد ذاته، ولم يُبشَّر النَّبيُّ إبراهيم بولد غير الولد الذي بُشِّرت به امرأته، والمرأة القائمة على خدمة الضيوف هي ذاتها المرأة التي أقبلت بالصَّرة، ولا وجود لامرأة أخرى في الحدث قط.

والبشرى الثانية للنَّبيِّ إبراهيم بإسحاق متعلقة بنبوته ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات ١٠٢)، وتابعت الآيات تفصيل الحدث وانتهت

بالبشرى ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات ١١٢)، وذلك جزاء طاعة إسحاق لأبيه فأتت البشرى بنبوة إسحاق تكريماً لحلمه وصبره، ومن غير المنطق أن يكون الكلام على ولد، وتأتي البشرى بولد آخر بأنه نبيٌّ.

وبهذا العرض القرءاني وصلنا إلى أن الولد صاحب البشرى هو إسحاق، وليس قبله أي ولد، ولا يوجد عند النَّبيِّ إبراهيم غير أم إسحاق بدليل فهمها أنها المقصودة بالحمل والولادة، ولو كان يوجد غيرها لما صكت وجهها، وقالت: إنها عجوز عقيم، عقب سماعها البشرى لبعلها، وبعد ذلك توجهت الملائكة بالبشرى لها.

الولد الذبيح هو النَّبيُّ إسحاق

بعد أن ثبت لدينا أن النَّبيَّ إسحاق هو الابن الوحيد لإبراهيم نصل لفهم النَّصِّ القرءاني التالي:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ !فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ !فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ **يَا بُنَيَّ** إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي **أَذْبَحُكَ** فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات ١٠٠-١٠٢).

فكما عرفنا قبل قليل أن الولد صاحب البشرى هو النَّبيُّ إسحاق ولا يوجد غيره، وعندما بلغ سن السعي رأى أبوه مناماً أنه يذبحه وحصل ما حصل في القصة المعروفة في القرءان. والنَّبيُّ إسحاق هو الغلام العليم والحليم.

وهذا المنام ليس أمر من الله بذبح النَّبيِّ إسحاق، فالأوامر الإلهية لا تأتي في المنامات، وإنما كان مناماً يقصد به شيء آخر، ولكن النَّبيَّ إبراهيم أوله على ظاهره وخاصة بعد تكرار رؤيته له، فأراد أن يذبح ابنه ظناً منه أنه ينفذ أمر الله، وجَسَّد المنام كما هو دون تأويل له، فنزل الأمر الإلهي بتوقيف هذا العمل وأعطاه فداء لمنامه وابنه، وأخبره أنه تم تصديق الرؤيا من خلال الخضوع لله وذبح الدنيا وزينتها وإخراجها من قلب النَّبيِّ إبراهيم، وليس المقصود الصورة المادية للمنام، وذبح الولد في المنام رمز لذبح الدنيا وزينتها، كما كانت البقرة السمينة في منام الملك بقصة النَّبيِّ يوسف رمزاً للخير والخصب والأمطار.

١. جاء في **تفسير الطبري**: حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن أبي سنان الشيباني، عن ابن أبي الهذيل، قال: **الذبيح هو إسحاق**.

٢. جاء في تفسير **ابن كثير** تحت شرحه لقوله تعالى: فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣)

وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) قال: وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن **الذبيح هو إسحاق**، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً.

٣. وفي **القرطبي** جاء قال ابن عباس: بُشر بنبوته وذهب إلى أن **البشارة كانت مرتين، فعلى هذا الذبيح هو إسحاق بُشر بنبوته جزاء.**

وجاء به أيضاً: تحت تفسير قوله: قوله تعالى: «واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب»، وقد استدل بهذه الآية من قال: **إن الذبيح إسحاق لا إسماعيل**، وهو الصحيح على ما ذكرناه في كتاب « الإعلام بمولد النَّبيِّ عليه السلام ».

٤. وفي **البحر المحيط** جاء: وذهبت جماعة إلى أن **الذبيح هو إسحاق**، منهم: العباس بن عبد المطلب، وابن مسعود، وعلي، وعطاء، وعكرمة، وكعب، وعبيد بن عمير، وابن عباس في رواية.

٥. أخرج **الحاكم في مستدركه على الصحيحين**: حدثنا إسماعيل بن الفضل بن محمَّد الشعراني، ثنا جدي، ثنا سنيد بن داود، ثنا حجاج بن محمَّد، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قال: « **الذبيح إسحاق** » « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ».

حدثنا أبو بكر محمَّد بن المؤمل ثنا الفضل بن محمَّد الشعراني ثنا سنيد بن داود ثنا وكيع عن سفيان عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وبشرناه بإسحاق﴾ قال: **بشرى نبوة بُشر به مرتين حين ولد وحين نُبِّئ.** صحيح الإسناد ولم يخرجاه. تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

٦. وجاء في **مسند البزار**: حَدَّثَنَا مَعْمَرُ بْنُ سَهْلٍ الأَهْوَازِيُّ، وَأَخْرَجَهُ إِلَيْنا مِنْ أَصْلِ كِتَابِهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُبَارَكٌ، عَنِ الحَسَنِ، عَنِ الأَحْنَفِ، عَنِ العَبَّاسِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: الذَّبِيحُ إِسْحَاقُ.

٧. تفسير **الآلوسي**: وبما رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن حباب عن الحسن بن

دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: « الذبيح إسحاق ».

٨. تفسير **فتح القدير** جاء به: وقد اختلف أهل العلم في الذبيح: هل هو إسحاق، أو إسماعيل؟ قال القرطبي: فقال أكثرهم: **الذبيح إسحاق،** وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب، وابنه عبد الله، وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود، ورواه أيضاً عن جابر، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وعمر بن الخطاب، قال: فهؤلاء سبعة من الصحابة. قال: ومن التابعين، وغيرهم: علقمة، والشعبي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وكعب الأحبار، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، والقاسم بن أبي برزة، وعطاء، ومقاتل، وعبد الرحمن بن سابط، والزهري، والسدّي، وعبد الله بن أبي الهذيل، ومالك بن أنس كلهم قالوا: **الذبيح إسحاق.**

وجاء به أيضاً: وأخرج عبد الرزاق، والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: الذبيح: إسحاق. وأخرج عبد بن حميد، والبخاري في تاريخه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال: الذبيح: إسحاق. وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: **الذبيح إسحاق.**

٩. وجاء في **الدر المنثور**: وأخرج عبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال: **الذبيح إسحاق.**

١٠. **التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي** جاء به: وذهب علي بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن **الذبيح إسحاق.**

أنواع الهبة

﴿**الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء**﴾ (إبراهيم ٣٩).

والهبة تكون على صور منها:

هبة الولد مثل قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء ٨٩ –٩٠).

هبة المساعدة والمؤازرة ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً﴾ (مريم ٥٣).

هبة الحكم ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء ٢١).

هبة النفس ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ (الأحزاب ٥٠).

هبة الملك ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص ٣٥).

هبة الأهل ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (ص٤٣).

هبة الرحمة ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران ٨).

ولا يوجد قرينة في نص الهبة المتعلق بالنَّبيِّ إبراهيم تحدد نوعية الهبة، ولا بُدَّ من دراسة النصوص الأخرى لنعرف مضمون دعاء النَّبيِّ إبراهيم، وهذا نجده في نصوص أخرى

أولها هو عندما أنجى الله النَّبيَّ إبراهيم والنَّبيَّ لوط إلى الأرض المباركة (مكة) وهبه إسحاق ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ـ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (الأنبياء ٧١- ٧٢)، ونصوص البشرى بالولد ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ وتحديده بإسحاق فقط ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ مع غياب النَّبيِّ إسماعيل تماماً من نصوص البشرى، وذكر الولد رغم أن الهبة كانت لكليهما معاً في زمن واحد وهو مرحلة كبر النَّبيِّ إبراهيم ووصوله مرحلة الشيخوخة المتأخرة ﴿**الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**﴾.

وهذا يدل على أن هبة إسحاق هي هبة ولد، وهبة النَّبيِّ إسماعيل هي هبة نبي مساعد ومؤازر للنَّبيِّ إبراهيم مثل هبة النَّبيِّ هارون للنَّبيِّ موسى، وذلك لمساعدة النَّبيِّ إبراهيم في رفع قواعد البيت المحرم، وهذا يدل على أن النَّبيَّ إسماعيل لم يكن غلاماً، وإنما كان رجلاً قوياً، وهو أكبر من إسحاق ضرورة للمهمة التي سوف يُكلف بها مع النَّبيِّ إبراهيم، وخاصة أن زمن الهبة للنَّبيِّ إبراهيم كان في فترة واحدة، ومن المعلوم أن النَّبيَّ إسماعيل أكبر من النَّبيِّ إسحاق.

وذهب النَّبيُّ إبراهيم وزوجته وابنه إسحاق إلى مكان البيت المحرم، وأسكن امرأته وابنه هناك بأمر من الله، وكان برفقته النَّبيُّ إسماعيل بدليل الدعاء بصيغة الاثنين والطلب لإبراهيم فقط ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم ٣٧).

وهذا يدل على صغر سن النَّبيِّ إسحاق حينئذ، لذا، لم يساعد أباه في رفع قواعد البيت، ولم يتم ذكره أبداً في هذه الأحداث العظيمة التي كان حاضراً فيها النَّبيُّ إسماعيل كمساعد للنَّبيِّ الشيخ إبراهيم، ويبدو أن النَّبيَّ إبراهيم والنَّبيَّ الشاب إسماعيل غادرا الوادي لقضاء مهمة أخرى بينما يحين وقت رفع قواعد البيت، وكلمة (من ذريتي) في النَّصِّ هي بيانية حين الكلام، وتبعيضية مستقبلاً، لأنه ليس كل ذرية النَّبيِّ إبراهيم في المستقبل سوف تبقى في هذا المكان.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ

العَلِيمُ!رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ **وَمِن ذُرِّيَّتِنَا** أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ! رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (البقرة ١٢٧– ١٢٩).

النَّبيُّ إسماعيل أب لأبناء يعقوب من الناحية الثقافية

وما يؤكد ما ذهبنا إليه من كون النَّبيِّ إسماعيل ليس ابناً للنَّبيِّ إبراهيم هو غياب ذكر النَّبيِّ إسماعيل من قول النَّبيِّ يوسف عندما ذكر آباءه:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف٦).

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ (يوسف ٣٨).

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ (ص ٤٥).

وذكره الله منفصلاً عن النَّبيِّ إبراهيم وأبنائه في قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ﴾ (الأنعام ٨٦)، وهذا إشارة إلى أن النَّبيَّ إسماعيل من ذرية النَّبيِّ نوح مثله مثل النَّبيِّين الذين ذكروا معه.

أما النَّصُّ الذي ذكر النَّبيَّ إسماعيل كأب لأبناء يعقوب وهو ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة ١٣٣)، فهو لأن النَّبيَّ إسماعيل من الآباء السلف الذين مضوا بالنسبة لأبناء يعقوب وهو معاصر للنَّبيِّ إبراهيم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة ١٧٠).

جعل بعث النَّبيِّين في ذرية نوح أو إبراهيم

وقد جعل الله بعث النَّبيِّين في الناس من ذرية النَّبيِّ نوح أو ذرية النَّبيِّ إبراهيم أو من كليهما معاً.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد ٢٦).

و النَّصُّ دليل على وجود ذرية للنَّبيِّ نوح مختلفة عن ذرية النَّبيِّ إبراهيم، وقد عاشا مع بعضهما وحصل تداخل بينهما. ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ !ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران ٣٣ – ٣٤).

النَّبيُّ محمَّد الخاتمي ابن إسحاق وليس ابن إسماعيل

وما ذكرناه من أن النَّبيَّ إسحاق هو ابن النَّبيِّ إبراهيم فقط، وهو الذبيح اصطلاحاً، وهو الذي سكن عند البيت المحرم، والنُّبوَّة حصراً من ذريته أو من ذرية النَّبيِّ نوح، أو من كليهما، نصل إلى أن نسب النَّبيِّ محمَّد الخاتمي هو من ذرية النَّبيِّ إسحاق، لأنه هو الذي سكن عند البيت المحرم، والأنبياء في هذه المنطقة كلهم من ذريته، وهو دعوة أبينا النَّبيِّ إبراهيم والنَّبيِّ إسماعيل ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (البقرة ١٢٩).

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم٣٧).

وهذا لا يغير من قيمة النَّبيِّ محمَّد وفضله شيء، فهو يرجع نسباً للنَّبيِّ إبراهيم، ولكن عن طريق النَّبيِّ إسحاق، وليس عن طريق النَّبيِّ إسماعيل، لأنه ليس ابناً للنَّبيِّ إبراهيم، وكلهم أنبياء كرام وفضلاء.

حج الأنبياء والرسل وقبلتهم في الصلاة

كان أساس بيت الله الحرام موجوداً قبل إبراهيم، ولكنه اندثر، وتهدم بسبب عوامل بيئية، ونتيجة إهمال الناس له، اقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران ٩٦)، وعندما قدم النَّبيُّ إبراهيم إلى هذا الوادي، كان يعلم بوحي من الله أن هذا المكان فيه بيت الله الحرام، اقرأ قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم ٣٧).

ولم يكن البيت قد ارتفعت قواعده بعدُ، وبعد مضي فترة زمنية أمر الله إبراهيم برفع قواعد البيت، وإظهاره على سطح الأرض، فاستجاب النَّبيُّ إبراهيم، وساعده النَّبيُّ إسماعيل في تنفيذ أمر الرب، اقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة ١٢٧).

وبعد أن انتهى من البناء، أمره الله أن يُؤذّن في الناس بالحج إلى بيت الله الحرام، فقال: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج ٢٧).

والسؤال الذي يفرض ذاته هو، ألا يشمل الأذان بالحج إسحاق ابن إبراهيم؟ ويعقوب ابن إسحاق؟ ويوسف ابن يعقوب؟ أليسوا أولى بالاستجابة من الناس الآخرين؟ والجواب معروف، هم أوَّل من استجاب لنداء أبيهم إبراهيم - طاعة لله-؛ ما **يدل على أن جميع الأنبياء والرسل قبل النَّبيِّ إبراهيم، كانوا يحجُّون إلى بيت الله الحرام، بدليل وجود قواعد البيت**، وبعد أن رفع إبراهيم القواعد، عاد الأمر إلى ما كان عليه من توجُّه الأنبياء والرسل

إلى حج البيت، فالنَّبيُّ موسى وأتباعه، والنَّبيُّ عيسى وأتباعه، وغيرهم من المسلمين كانوا يحجُّون إلى بيت الله الحرام، اقرأ قوله: ﴿**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص ٢٧)**.

وهذا العرض مُوجَّه إلى النَّبيِّ موسى من والد زوجته للعمل عنده، لاحظ استخدام كلمة (حِجَج) وهي جمع لكلمة (حِجّة)، وذلك لا يكون إلا لبيت الله الحرام، اقرأ قوله تعالى:

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران ٩٧).

لذا، **لا يوجد على كوكب الأرض مركزاً للحج إلا بيت الله الحرام**، وجميع الناس، وأتباع الأنبياء والرسل على الخصوص معنيون بذلك، وما ينبغي منع أحد من الحج إلى بيت الله، سوى من منعهم الله نفسه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة ٢٨).

وهذا الكلام يدل على نفي الحج عن أي مكان، أو مسجد سوى إلى بيت الله، وكذلك نفي القبلة في الصلاة عن أي مسجد، أو جهة، سوى إلى المسجد الحرام، وهذا الأمر معروف لجميع الناس، منذ بدء الخليقة.

وهذا يدل على كذب اليهود والنصارى، وخطل رأي أحبارهم حين اتخذوا القدس في فلسطين، أو نجماً في الشمال، أو شروق الشمس، جهة للقبلة، أو للحج، فهذا ليس من دين الله أبداً.

الأرض المقدسة

إن مفهوم القداسة يدل على العظمة والطهارة والفضل الكبير، وعندما يُطلق هذا المفهوم على أحد، فهو لتحقق هذه الصفات به، أمّا إسباغ صفة القداسة على أرض معينة، فهذا لا يكون إلا للخالق - تبارك وتعالى -، لأن وصفه حقيقي، بخلاف وصف الناس لبعض الأشياء، فهو خاص بتصورهم، لا حقيقة له على أرض الواقع.

والأرض المقدسة، ينبغي أن تتفرد بصفات ذاتية ترفعها عن جمودية الأشياء، وأن تُشفَع هذه الصفات بأحداث إنسانية تاريخية هامة للمجتمع الإنساني كله تشهدها هذه الأرض، والدارس للنص القرءاني يجد أن الصفات هذه، قد تحققت في بلاد الشام الكبرى وظهرت في مكة خاصة، اقرأ قوله تعالى: ﴿وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (الأنعام ٩٢).

وأول بيت وُضع للناس ليكون قبلة صلاتهم، وجهة حجهم، هو بيت الله الحرام في بكّة، اقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران ٩٦)، وكان جميع الأنبياء والرسل يحجُّون إلى هذا البيت، ويتوجهون في صلاتهم إلى جهته، انظر قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ (آل عمران ٩٧).

وقوله: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج ٢٧).

وقد أُقيم بيت الله الحرام في واد بمكة، اقرأ قوله تعالى على لسان النَّبيِّ إبراهيم: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم ٣٧) **فيكون هذا الوادي، هو الوادي المقدس في قوله تعالى خطاباً للنَّبيِّ موسى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾** (طه ١٢)، لأن قداسة الوادي أتت من مركزيَّته، وبناء بيت الله فيه، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾، وحصول الأحداث التاريخية الهامة، وكونه مركزاً لانطلاق دعوة الأنبياء والرسل، وقبلة لصلاتهم، وحجهم.

وبالتالي، **فبلاد الشام الكبرى ومكة خاصة هي الأرض المقدسة** في قوله تعالى على لسان النَّبيِّ موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة ٢١).

لذا، لا يوجد أرض مقدسة إلا بلاد الشام الكبرى ومكة خاصة لما اتصفت به من صفات ذاتية، وبناء بيت الله فيها، وجعلها مركزاً لعملية بث الناس منها، وعودتهم للحج (البك والمك)، وقبلة صلاة الناس.

أم القرى

مفهوم كلمة (أم) يدل صوتياً على ظهور خفيف زمكانياً مع إثارة وامتداد لطيف منتهي بجمع متصل، وظهر عملياً بمعنى القصد والمرجع والمركز والأصل.

ومنه ظهر كلمة الإمام، لأنه مركز وأصل لحركة الناس ويقصدونه باتباعهم، وظهرت كلمة (الأُم)، لأنها هي الأصل والمركز والأصل لأولادها تجمعهم بشكل متصل، ومنه الأمة وهي التجمع المتصل وفق مفاهيم وثقافة معينة تقصدها وتتبعها...

القُرى جمع قرية وأصلها من فعل (قرر) ومفهومها الصوتي يدل على توقف شديد مكرر، فإن دلالة صوت القاف هو التوقف ودلالة صوت الراء هو التكرار.

القاف: قف - قامَ - قطع - طرق - دق - حق.

وكلمة حق كلمة تدل على تأرجح شديد منضبط (وهو دلالة صوت الحاء)، منته بقطع شديد (وهو دلالة صوت القاف) نحو:

حقَّ القول مني، إذا استقر على أمر واحد دون غيره بشدة وقوة، ومن ذلك سُميت الحُقوق.

وعند إضافة صوت الألف لكلمة (قرى) أعطاها بُعداً زمكانياً من الحركة والإثارة، وظهر ذلك عملياً في تجمع الشيء مع بعضه بقوة وبشكل مكرر متنامٍ، وظهر صورة الجمع لهذه العملية، فقالوا: قرى الماء، إذا اجتمع مستقراً بشكل مكرر في حوض كبير، وقالوا: قرى الناس، إذا اجتمعوا مع بعضهم بقوة وبشكل متنامٍ مستقرين على جمعهم وممتدين بهذا الشكل.

ومن ذلك المفهوم والمعنى ظهر اسم القرية ليدل على توقف انتقال الناس واستقرارهم

وتجمعهم أو تكتل مجموعة كبيرة من الناس بشكل متنامٍ باستقرار وامتداد بحركة تستوعب الزمان والمكان.

ومفهوم القرية يشمل التجمع الزراعي المعروف باسم الريف، والتجمع الذي يقوم على التجارة والصناعة والتعليم، ويقوم على المؤسسات والمرافق المعروف باسم المدينة بصرف النظر عن تعدد تلك المرافق والمهام أو تقلصها وبدائيتها، بخلاف معنى كلمة البدو فهي مقابل مفهوم كلمة القرية، لأن البدو هي تجمعات بشرية محدودة متحركة غير مستقرة في زمان ومكان معين، ولذلك لا يمكن أن تؤسس حضارة أو نهضة، وهي تدور في فلك القرى التي تقيم مؤقتاً بجوارها أو ضمن نطاقها ولا تستغن عنها.

وهذا يعني أن مفهوم القرية ليس مدحاً ولا ذماً بحد ذاته، وإنما هو مفهوم جغرافي اجتماعي يشمل نمطين من المعيشة الريف والمدينة، والعلاقة بينهما تكاملية لا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر.

لنقرأ كيف استخدم القرءان كلمة (القرية):

دلالة كلمة القرية عام يطلق على التجمع الصالح أو التجمع الكافر المجرم

﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (النحل١١٢.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾ (الأنبياء١١.

القرية هي تجمع بشري في جغرافية معينة بشكل مستقر ممتد زمكانياً ما يسمى بالاصطلاح المعاصر (دولة) مهما صغرت.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (محمَّد ١٣).

فمكة هي قرية (دولة صغيرة).

قانون هلاك القرى:

﴿وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِك فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ (الإسراء ٥٨).

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الحجر ٤).

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ (الإسراء ١٦).

كل قرية تقوم وفق نظام معين ولها عمر اجتماعي يساهم المجتمع ومؤسساته في إطالة عمر قريتهم (الدولة) أو تقصيره ودفعها نحو الهلاك والتدمير الذاتي، وذلك من خلال المفاهيم الاجتماعية التي تقوم على العدل والخير والصلاح والإنسانية، فالقرية التي تقوم على الظلم والفساد تسير في طريق التدمير الذاتي، والمسألة مسألة وقت، ويأخذ قانون هلاك المجتمعات مجراه ويدمر القرية.

فلذلك القرية التي لا تغيِّر ما بنفسها يتم إهلاكها وتغييرها بشكل كارثي تدميري، فغيِّروا ما بأنفسكم وخذوا زمام ذلك التغيير، ووجهوه نحو الخير والرشاد قبل يتم تغييركم كارثياً وتتدمروا وتذهب ريحكم ويأت قوم غيركم.

ومن يقرأ التاريخ يجد أن كل دولة قامت قرون أو عقود وأجيال بشكل متفاوت فيما بينها ، ولكن نهاية أدركها قانون الهلاك وهلكت عندما تجذَّر الفساد فيها وترسخ واستحال إصلاحها.

والقرية التي تهلك لا ترجع مرة ثانية، لأنها أخذت فرصتها فلا بُدَّ من ركمها في ذاكرة التاريخ ليتم السماح للتطور وظهور غيرها، وهذا قانون الدفع للناس المعروف.

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء ٩٥).

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ المُلْكَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾ (البقرة ٢٥١).

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج ٤٠).

وفعل الإنذار نهاية بعد كمال الدين يكون لأم القرى، وليس لكل قرية على حدة. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً﴾ (الفرقان ٥١).

الإنذار السابق كان لكل قرية

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (الأعراف ٩٤).

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ (الشعراء ٢٠٨).

دلالة كلمة المدينة خلاف دلالة كلمة الريف، بمعنى أن المدينة من مَدَن وهي مركز جغرافي وتجمُّع بشري يقوم على البناء والصناعة والمهن أو تجاري ومؤسساتي رئيس في القرية، والقرية تتألف من مدينة وريف كحد أدنى بصرف النظر عن تعدد المدن أو عدمه.

أي: أن التسلسل الهرمي من الأصغر للأكبر هو:

ريف – مدينة – قرية.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون ٨).

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً﴾ (الأحزاب ٦٠).

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف ٣٠).

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ (الكهف ١٩).

وهذا يوصلنا إلى أن كلمة (أم القرى) تعني: قرية كبيرة تقوم على قرى تزيد أو تنقص فيها حسب حركة التاريخ، ولكن تبقى نهاية تابعة لبعضها بعلاقة تاريخية جغرافية ثقافية (أمة)، وهذه الأم تحقق فيها صفة المركزية والأصل والمقصد والمرجع تاريخياً واجتماعياً وثقافياً لبقية القرى.

نأت الآن لفهم نصّ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (القصص ٥٩).

عندما يقول أحدهم: ذهبت إلى سورية، لا يعني أنه ذهب لكل جزء فيها وإنما لمدينة من مدنها، وهذا فهم منطقي واقعي يفرضه مقتضى الحال، وكذلك معنى كلمة (حتى يبعث في أمِّها رسولاً) لا يعني كل جزء من القرية الأم، وإنما في جزء منها، ويصح القول: إنه أرسل في أمها رسولاً، كمن يقول: أرسل الملك إلى سورية سفيراً لبلاده، وعملياً السفير أتى لمدينة واحدة من المدن السورية.

إذاً، تم بعث الرسول في أم القرى، وبالذات قرية مكة وهي جزء لا يتجزأ من أم القرى، ولا يصح إطلاق عليها اسم أم القرى، لأن أم القرى مركز وأصل ومرجع للقرية.

ومكة هي قرية تابعة لأم بشكل لازم لا تنفك عنها جغرافياً وتاريخياً وثقافياً، وتم نزول القرءان وبعث الرسول في أم القرى بقرية مكة.

فمن هي أم القرى؟

اليمن الكبرى وبلاد الشام الكبرى

الملاحظ في شبه الجزيرة العربية أنها انقسمت إلى نصفين: قسم جنوبي أطلق عليه اليمن، وقسم شمالي أطلق عليه الشام، فللنظر إلى جغرافية شبه الجزيرة العربية:

- يقول أحمد حسين شرف الدين في كتابه: اليمن عبر التاريخ:

تقع اليمن في جنوب الجزيرة العربية، ويحدها شمالاً الحجاز ونجد، وجنوباً البحر العربي، وشرقاً الخليج العربي، داخلاً فيها الربع الخالي الذي تبلغ مساحته ٢٥٠،٠٠٠. ميل مربع، وغرباً البحر الأحمر.

- المؤرخ والجغرافي اليمني أبو محمَّد الحسن بن أحمد الهمداني صاحب (صفة جزيرة العرب) توفي بعد سنة ٣٦٠ هـ، وقد جعل حدود جنوب شبه الجزيرة تبدأ من الكعبة بمكة جنوباً.

- وفي معجم البلدان لياقوت الحموي:

الخُلصة بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة، وهو صنم لهم، أحرقه جرير بن عبد الله البجلي حين بعثه النَّبيُّ، وقيل: هو الكعبة اليمانية التي بناها إبراهيم بن الصباح الحميري، وكان فيه صنم يدعى الخلصة فهدم، وقيل: كان ذو الخُلصة يسمَّى الكعبة اليمانية، والبيت الحرام الكعبة الشامية.

- ومن موقع ويكيبيديا:

Al- Yaman significantly plays on the notion of the land to the right, when in Mecca facing the dawn, complementary to Al-Sham.

والترجمة تقول: إن تسمية اليمن تأخذ فكرة الأرض التي على اليمين، بينما مكة تواجه المشرق، تكملة لبلاد الشام.



وحسب جغرافية شبه الجزيرة العربية تكون مكة في الجزء الشمالي منها؛ ما يعني أنها جزء من بلاد الشام مثلها مثل دمشق وحلب وإيلياء وبغداد... إلخ، وهذا التقسيم كان موجوداً لكن بصورة غير دقيقة.

وإن بحثت في محرك البحث google وكتبت (حدود دولة إسرائيل الكبرى) سترى أن دولة الكيان الغاشم في فلسطين يحدها في الجنوب مكة، وفي الشمال تدخل الحدود إلى تركيا، وما أبعد من جبال طوروس، وفي الشرق إلى حدود فارس، والغرب تأخذ قسماً كبيراً من القبط، وطبعاً هذا تقسيم احتلالي غاشم.

لكن المقصد أن الفكرة مطروحة ومعلومة من قبل النخبة السياسية ويعلمون ما تعني بلاد الشام، لكن أرادوا لهذه البلاد التشتت وتشويه الاسم والتاريخ. وهذا يُوصلنا إلى أن مفهوم (أم القرى) يتعلق ببلاد الشام ككل فهي أم القرى، وفعلاً بُعث الرسول فيها ونزل القرءان فيها، وهذا يقتضي أن يكون حصل بجزء منها ضرورة، وهو مكة، كما هو ثابت تاريخياً.

ولذلك نشاهد النَّصَّ القرءاني يصف جغرافية بلاد الشام ككل ويتناول أحداثها، ونزل النَّصُّ القرءاني بأفصح لسان في بلاد الشام وأكثره تطوراً ولم ينزل بلهجة قريش، ولذلك نشاهد كلمات كثيرة متمدنة في الخطاب القرءاني وغير مستخدمة في قريش، فظن بعض المفسرين أنها كلمات أعجمية مثل استبرق، أباريق، إبراهيم، إنجيل، توراة، زنجبيل، سجيل، طاغوت، عدن، فرعون، فردوس، ماعون، مشكاة، ونحو ذلك من الكلمات.

والصواب أنها كلمات عربية سائدة في بلاد الشام، غير أن طبيعة الخطاب القرءاني يتعلق بقوم عندهم مدنية وحضارة وفلسفة وثقافة، وهذا كله متحقق في بلاد الشام أم القرى التي هي فعلاً مركز ومرجع وإمام للقرى العالمية عموماً لطبيعتها الجغرافية والثقافية والتاريخية والحضارية، وهي الأرض المباركة عموماً ومكة خصوصاً، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾ (سبأ ١٨).

وهذا يفسر تكالب قوى الاستكبار عليها وعلى ثرواتها والسيطرة عليها ومحاولة عزلها عن دورها كأم للقرى، وهي دائماً محط أنظار العالم.

في حين أن هناك موجة جديدة لا ندري أهي فعل من التراث أو موجة موجهة ومُخطط لها، أم مجرد موجة خواطر، إذ يقولون: إن موقع مكة والكعبة الحقيقي ليس في مكة المعلومة، واختلفوا أين إلى عدة آراء:

منهم من يقول: إن مكة في القبط (مصر) والكعبة هي الأهرامات بالتحديد.

ومنهم من قال: إن مكة في العراق.

ومنهم من قال: إن مكة في دمشق.

ومنهم من قال: إن مكة في الخليج وبعُمان بالذات.

ومنهم من قال: إن الكعبة في البتراء، اعتماداً على فيديو أو كتاب لمستشرق افترض أن مكة في البتراء بناء على رؤية قاصرة منه، ومن يسمع الفيديو أو يقرأ الكتاب الذي ألَّفه، يجد أنه سطحي جداً وجاهل بكل معطيات التاريخ في المنطقة وجاهل في الخطاب القرءاني.

وقد اعتمدوا في البداية على أن الوصف القرءاني للمناطق المذكورة في القرءان لا تتطابق

مع جغرافية مكة ! وهذا قد أوقعهم في حيرة من أمرهم فرفضوا الواقع واتجهوا يبحثون عن مكة!

فحين يقول القرءان:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل١٠)، قالوا: هذه الصفات غير متوفرة في مكة!

وفاتهم أن الخطاب القرءاني نزل للناس جميعاً، وهو آية لهم، وليس من الضرورة أن تكون الآية موجوة في جغرافية قوم معينين، فالآية موجودة وبإمكانية أي باحث أو متدبر أن يدرسها، فعندما يتكلم عن البحر لا يعني أنه خطاب خاص لسكان البحر، وكذلك الجبال أو السموات... إلخ، فهذه الآيات موجودة للدراسة والتدبر من الناس، ولا يمكن لقوم معينين أن يدرسوا كل الآيات بأنفسهم، وهكذا العلوم وتقدمها لا يستطيع عالم واحد أن يدرس العلوم كلها !

ومن هذه الآية وأمثالها انطلق بحث هؤلاء عن مكة من خلال الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، وافترضوا أي مكان لوجود مكة إلا أن يكون في شبه الجزيرة العربية ! حسب السيناريو الذي في مُخيلتهم بسبب ظنهم أن مُصطلح [أم القُرى] يخص مكة فقط، فحصروا آيات كثيرة بمنطقة واحدة محدودة جغرافياً وسكانياً وحتى ثقافياً، في حين أن كثيراً من الآيات تتكلم عن رقعة جغرافية كبيرة وهي بلاد الشام الكُبرى، كما هو موضح في الصورة سابقاً.

فآيات كثيرة تتحدث عن أم القُرى [بلاد الشام] والدُّول (القُرى) التي مرت واندثرت في بلاد الشام، وبالمقابل وَصَفَ القرءان جغرافية مكة، لأن فيها [الكعبة] وهي مهبط الرسالات، وهناك تم إكمال الدين وختم النُّبوة والحج إليها فكان لا بُدَّ من ذكرها مُنفردة مثل:

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (ابراهيم ٣٧).

ومكة معلوم أنها وادٍ غير ذي زرع، تتميز بمناخ جاف نسبياً، وهناك أسكن النَّبيُّ إبراهيم إمام الناس أهله، وهذا نص صريح وقطعي الدلالة أن مكة تقع في وادٍ لا يوجد فيه زرع، فلماذا يبحث هؤلاء عن مكة متخيلة فيها زرع ورمان وزيتون؟.

فمكة تقع ضمن إقليم تهامة غرب شبه الجزيرة العربية على بعد ٨٠ كم من البحر الأحمر، ضمن تشكيلات الدرع العربي المكون من صخور متحولة، صخور جوفية اندساسية، وصخور غرانيتية، أما أوديتها فتغطيها ترسبات الحصى والرمل، ومعظم هذه الأودية التي تتشكل منها مكة تتبع في تكوينها حركات الصدوع والانكسارات التي مرت بالدرع العربي خلال الأزمنة الجيولوجية القديمة.

أما مُصلطح (الدرع العربي) فهو يُشكل جزءاً كبيراً من الصفيحة العربية ويقع في غربي شبه الجزيرة العربية، ويُغطي ثلث مساحتها، وهو يتكون من:

- صخور متحوِّلة: كانت في الأصل صخوراً رسوبية وبركانية قديمة، ثم جعلها الضغط والحرارة العاليين صخوراً متحولة.
- صخور جوفية اندساسية: أي: صخور تجمدت من الصهر داخل القشرة الأرضية من دون أن تصل إلى السطح.
- صخور بركانية: تكونت في العصرين الثلاثي والرباعي من اللافا (Lava) التي ساحت على سطح الأرض، خارجة من البراكين، ولذا تجمدها كان سريعاً وحجم بلوراتها كان صغيراً، مثل صخور البازلت.

وتم اختيار مكة من بقية بلاد الشام لبعث الرسول ونزول القرءان فيها، لأن مكة لم تكن حينئذ تحت هيمنة دولة الروم أو الفرس، وبعيدة عن الصراع الرومي الفارسي، وطبيعة قبائلها حرة أبية بخلاف الشعوب البقية، فقد تم استعبادها ورسخت تحت سيطرة الروم والفرس لمدة زمنية طويلة جداً، استحال معها قيامهم بنهضة فكرية وتحررهم من العبودية والذل والقهر، وإن لزم الأمر وجب تدمير الدولة بأكملها حتى يتم إرسال الرسالة، ويدخل الناس في دين الله، فكان لا بُدَّ من بيئة حرة تصلح أن تكون حاضنة للفكر الجديد، وتَمثل ذلك في مكة والمدينة، فأخذت الدعوة فرصتها الزمنية للولادة وانتشرت وترسخت

في المنطقة بعيدة عن طمع الفرس والروم وصراعهم لزهدهم بالمنطقة، وبعد ذلك كما هو معلوم تأسست أول دولة للمسلمين في تلك المنطقة، وبدؤوا يحررون أنفسهم في جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية وشرقها وغربها من سيطرة الروم والفرس، وطردوهم خارجها وأثبتوا وجودهم كدولة صاحبة قرار مؤثر يُهاب جانبها ويحسب لها ألف حساب.

ومن الطبيعي بعد تأسيس الدولة وانتشارها أن تنتقل عاصمة الدولة من مكة لعدم صلاحيتها، لأن تكون عاصمة دولة حديثة إلى عاصمة لها وجود وحضارة وثقل في المنطقة، فكانت أول عاصمة للدولة هي المدينة التي أسسها النَّبيُّ محمَّد نفسه، ومن ثم انتقلت العاصمة إلى العراق في زمن الحاكم الرابع علي بن أبي طالب وبنى الكوفة، وبعد ذلك أتى الأمويون وجعلوا دمشق عاصمة دولة الأمويين، ومن بعدهم صارت بغداد عاصمة دولة العباسيين، وهو اختيار موفق من قبل الجميع، ويدل على وعي جغرافي وسياسي عندهم.

وبعد اكتمال الدين ونزول القرءان ووفاة النَّبيِّ، واستقرار الدولة الإسلامية في المنطقة، انتهى دور مكة كعاصمة سياسية لترجع مدينة دينية فقط، وهذا ما يجب أن تكون عليه مدينة السلام بعيدة عن الصراع والحروب أو الاستغلال الاقتصادي من قبل أحدهم، ولا تخضع لسلطة أحد، وإنما يقوم بالعناية بها مجموعة قرى بلاد الشام، ومن يساعدهم من الدول الأخرى.

وروي عن النَّبيِّ محمَّد أنه قال: إذا فَسَدَ أهلُ الشامِ، فلا خَيرَ فيكُم، ولا يزالُ أناسٌ من أمتي منصورين لا يُبالون من خذلهم حتى تقوم الساعة.

والحديث في ظاهره متطابق مع منظومة أم القرى (بلاد الشام).

وبلاد الشام الكبرى إن فسدت فسدت الأمة وصلاحها من صلاح الأمة.

فبلاد الشام (أم القرى حسب الخريطة المذكورة أعلاه) تُمثل صمام الأمان للأمة ومحط أنظار الناس أجمع، وهذا واقع ومُشاهد حالياً.

نماذج عن أدلة من ينفي وجود مكة في شبه الجزيرة العربية، ويدَّعي أنها البتراء

استجابة لطلب بعض الإخوة الأعزاء، ونزولاً عند رغبتهم قمت بكتابة سريعة ونقاش فكرة أن مكة هي البتراء! وكتبت بداية الدليل الذي اعتمدوه وتحته تعليقي أو نقاشي يبدأ بكلمة الجواب، والله ولي التوفيق:

١. عدم وجود محراب في المساجد القديمة، وقد ظهر المحراب في القرن الثاني لظهور الإسلام، وهذا يدل على نفي تحديد جهة القبلة، وكان المصلون يدخلون إلى المسجد، ويصلون للجدار الذي يقابل باب الدخول، وكل مسجد له قبلته حسب جهته، وهذا يدل على عشوائية اتجاه القبلة واعتباطية ذلك !

الجواب:

هذا كلام مرسل، ويُذكر جزافاً لا قيمة له علمياً، وهو تصور وظن وتخمين وخيال، نفي وجود محراب في المساجد ليس برهاناً لنفي تحديد القبلة عند المسلمين في صلاتهم، لأن استقبال القبلة أمر ديني ثقافي، وليس أمراً متعلقاً بجهة بناء !

٢. كانت المساجد الأولى التي بُنيت متجهة نحو الشمال (البتراء) وتم تغيير جهة القبلة في عصر الأمويين.

الجواب:

هذا الكلام تدليس وجهل، لم يكن للمساجد أصلاً جهة قبلة كبناء (محراب) كما قال في البند الأول، وإنما كان المصلون يتجهون لجهة معينة ثابتة في صلاتهم، وحصل أنه نزل أمر إلهي خارج القرءان باستقبال جهة الشمال (وهي قبلة فلكية وليست مكانية بمعنى لا

علاقة للقدس ولا للبتراء بها) في الصلاة لفترة معينة، ومن ثم نزل نصٌّ قرءاني بإرجاع اتجاه القبلة في الصلاة إلى القبلة الأولى وهي الكعبة، ولم يكن يوجد إلا بضع مساجد حينئذ، مسجد قباء ومسجد النَّبيِّ، والمسجد الذي اشتهر فيما بعد باسم مسجد القبلتين، وكان النَّبيُّ والمصلون يصلون في هذا المسجد متَّجهين إلى جهة الشمال، فنزل نص قرءاني على النَّبيِّ يأمره أن يستقبل جهة الكعبة وهو يصلِّي، وتلا عليهم النصَّ وهم يصلون فاستجابوا للأمر واستدار هو ومن معه نحو جهة الكعبة، ومن هذا الفعل سمِّي المسجد بمسجد القبلتين! وبعده بفترة تم بناء مسجد صنعاء الكبير ومسجد الجند في اليمن ليصير بناء خمسة مساجد في زمن النَّبيِّ، وبمعرفته وكلها يتجه المصلون فيها في صلاتهم إلى جهة الكعبة في مكة المعروفة.

وتتابع ذلك واستمر في الأمة، وعندما تم توسُّع في هذه المساجد كبناء لا علاقة لذلك بتغيير القبلة، لأن القبلة أمر ثقافي ديني محفوظ بثقافة الأمة، وهو سنة متتابعة، فهم يصلون باتجاه الكعبة، وتم وضع علامة في كل مسجد لتدل على اتجاه القبلة، وظهر التجويف في الجدار (المحراب) في القرن الثاني، وفي زمن عمر بن الخطاب تم بناء مسجد الكوفة وبناء مسجد عمرو بن العاص في مصر، وكان المصلون يتجهون في صلاتهم نحو الكعبة في مكة، وهذه المساجد السبعة مشيَّدة من حيث البناء وقبلتها ثابتة نحو مكة، ولم يكن للأمويين وجودٌ بعدُ!

هذا الحدث ثابت تاريخياً وثابت ثقافة، واليقين لا يزول إلا بيقين مثله، ولذلك لا قيمة لأي شبهة أو رواية – على افتراض وجودها – تنقض هذا الحدث الثابت.

أقدم مساجد إسلامية مبنية وقبلتها الى مكة منذ أن شيدت، ولم يكن وجود للأمويين ولا العباسيين



المسجد النبوي



مسجد قباء



مسجد القبلتين



مسجد صنعاء الكبير



مسجد الكوفة



مسجد عمرو بن العاص في مصر

٣. قالوا: لماذا حفر النَّبيُّ الخندق بغزوة الأحزاب من جهة شمال المدينة وليس من جنوبها؟ هذا برهان على أن مكة هي في شمال المدينة، وليس جنوبها، وليس هي إلا البتراء في الأردن، لأن مكة الحالية هي في جنوب المدينة.

الجواب:

هذا سؤال وشبهة وليس برهاناً ولا دليلاً على شيء، وواضح أن القائل يريد أن يثبت شيئاً في ذهنه مسبقاً.

ومع ذلك تعالوا لنقرأ لماذا تم حفر الخندق من جهة شمال المدينة وليس جنوبها رغم أن مكة هي في جنوب المدينة:

حفر الخندق

https://ar. wikipedia. org/wiki/%D8%BA%D8%B2%D9%88%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%86%D8%AF%D9%82#. D8. AD. D9. 81. D8. B1_. D8. A7. D9. 84. D8. AE. D9. 86. D8. AF. D9. 82

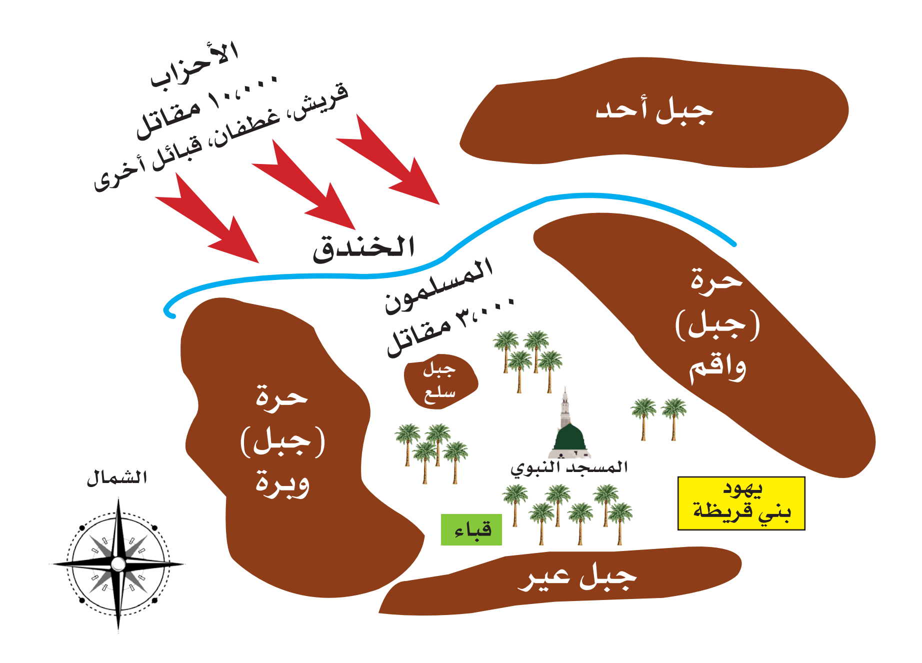
كانت استخبارات الدولة الإسلامية على حذر تام من أعدائهم، لذا، فقد كانوا يتتبعون أخبار الأحزاب، ويرصدون تحركاتهم، ويتابعون حركة الوفد اليهودي منذ خرج من خيبر في اتجاه مكة، وكانوا على علم تام بكل ما يجري بين الوفد اليهودي وبين قريش أولاً، ثم غطفان ثانياً.

وبمجرد حصول المدينة على هذه المعلومات عن العدو شرع النَّبيُّ محمَّد في اتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة، ودعا إلى اجتماع عاجل حضره كبار قادة جيش المسلمين من المهاجرين والأنصار، بحث فيه معهم هذا الموقف. فأشار الصحابي سلمان الفارسي على الرسولِ محمَّد بحفر خندق، قال سلمان: «يا رسول الله، إنّا إذا كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل، خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟»، فأَعجب رأيُ سلمان المسلمين. وقال المهاجرون يوم الخندق: «سلمان منا»، وقالت الأنصار: «سلمان منا»، فقال الرسولُ محمَّد: سلمان منا أهل البيت.

وعندما استقر الرأي بعد المشاورة على حفر الخندق، ذهب الرسولُ هو وبعضُ أصحابه لتحديد مكانه، واختار للمسلمين مكانًا تتوافر فيه الحمايةُ للجيش. فقد ركب الرسولُ محمدٌ فرسًا له، ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعًا ينزله، فكان أعجبَ المنازل إليه أن يجعل -جبل سلع- خلف ظهره، ويخندق من «المذاد» إلى - جبل

ذباب- (أكمة صغيرة في المدينة يفصل بينها وبين جبل سلع ثنية الوداع) إلى «راتج» (حصن من حصون المدينة لأناس من اليهود)، وقد استفاد الرسولُ من مناعة جبل سلع (وهو أشهر جبال المدينة) في حماية ظهور الصحابة.

كان اختيار تلك المواقع موفقًا، لأن شمال المدينة هو الجانب المكشوف أمام العدو، والذي يستطيع منه دخول المدينة وتهديدها، أما الجوانب الأخرى فهي حصينة منيعة، تقف عقبةً أمام أي هجوم يقوم به الأعداء، فكانت الدور من ناحية الجنوب متلاصقة عالية كالسور المنيع، وكانت -حرة واقم- من جهة الشرق، و-حرة الوبرة- من جهة الغرب، تقومان مقام حصن طبيعي، وكانت آطام بني قريظة في الجنوب الشرقي كفيلة بتأمين ظهر المسلمين، إذ كان بين الرسولِ محمدٍ وبني قريظة عهدٌ ألا يمالئوا عليه أحداً، ولا يناصروا عدواً ضده.



٤. قالوا: جغرافية مكة في القرءان كصفات مختلفة عن صفات مكة الحالية.

وضربوا مثلاً على ذلك نصَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر٢٧)،

وقالوا: هذا النَّصُّ خطاب للنَّبيِّ ويصف طبيعة جبال مكة، وهذا الوصف غير متحقق بمكة الحالية، وإنما متحقق بالبتراء، وهذا دليل على أن مكة في القرءان هي البتراء.

الجواب:

هذه الشبهة مردُّها إلى الجهل بمنهج القرءان وإغفال عالميته، ففعل طلب الرؤية سواء بصيغة الفرد كالنَّصِّ السابق، أو الجمع، مثل النَّصِّ هذا: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (النحل ٤٨)، هو خطاب للناس جميعاً للتفكر والدراسة والرؤية والبحث، وما كان خاصاً بقوم يأت خلال السياق ما يدل على ذلك مثل: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف ١٤٨)، رغم أن سؤال الرؤية الاستنكاري مستمر بالمفهوم لكل من شابه تفكيره وفعله قوم النَّبيِّ موسى.

ف النَّصُّ المعني بالنقاش هو نص عام إنساني الخطاب يصف حالة كونية قد يتحقق صفات الجبال في مكة أو في غيرها، وقد تخرج الثمار في مكة أو في غيرها، فالمهم هذه الظاهرة موجودة على الأرض، وهي محل للتدبر والتفكر والدراسة، لذا، لا قيمة لشبهتهم تلك علمياً ولا قرءانياً ولا منطقياً، ولم تنهض إلى مستوى شبهة دليل!

٥. قالوا: إن مدينة قوم النَّبيِّ لوط هي بجوار البتراء، و النَّصُّ القرءاني يقول: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الصافات ١٣٧ – ١٣٨)، وهذا خطاب لقوم النَّبيِّ محمَّد، ويدل على أن مدينة قوم النَّبيِّ لوط بجوارهم، وهذا دليل على أن مكة هي بالبتراء.

الجواب:

لم يثبت علمياً أن مدينة قوم النَّبيِّ لوط في الأردن، وهذا خبر أتى نتيجة تأثُّر المنقبين بكتب اليهود، لذلك لا قيمة للخبر قط، والصواب هو إثبات موضع مكة أولاً، وبعد ذلك إثبات محل مدينة قوم النَّبيِّ لوط.

٦. قالوا: يوجد مسجد في الصين يرجع بناؤه إلى عصر النَّبيِّ محمَّد واتجاه قبلته إلى البتراء.

الجواب:

هذا دليل طريف ومضحك لدرجة السخرية، فأي طالب علم يعلم أن الإسلام لم يصل إلى الصين في عصر النُّبوَّة، وبالتالي فالخبر كذب، ومع افتراض وجود هكذا مسجد في الصين أو في غيرها، فيكون قبلته خطأ لا شك بذلك، ولا يصلح هذا برهاناً على شيء، لأن الفكرة لا تدرس هكذا !

هذه طريقة تفكير من ادَّعى أن مكة في القرءان هي البتراء وهي موضع نشوء الإسلام وولادته، وأظن أن ما عرضته من تهافت دلائلهم كاف للحكم على بقية ما يعرضون من أدلة وشبهات وإظهار زيف فكرتهم وبطلانها، ولم أتعرض لبرهان القرءان على مكة وصفاتها، وأنها وادٍ غير زي زرع، وما شابه ذلك لثبوت مكة يقيناً كما هي معروفة في التاريخ والثقافة الإسلامية المتتابعة في الأمة، ولا يزول اليقين إلا بيقين مثله.

مفهوم كلمة إسرائيل

إن كلمة (إسرائيل) لفظة عربية، وليست أعجمية كما توهَّم بعض الباحثين، لأن النَّصَّ القرءاني نزل بلسان عربي مبين، كما قال الله وهو أصدق القائلين: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ *عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ *بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء ١٩٣-١٩٥).

فماذا تعني كلمة (إسرائيل) ؟

إن كلمة (إسرائيل) مؤلفة من كلمتين مدموجتين معاً: إسرا + ئيل.

١- **إسرا:** من الإسراء، وليس من الأَسر، كما نشرها اليهود في ثقافتهم، ومَرَّرُوها إلى ثقافة المسلمين، بقولهم: إن النَّبيَّ يعقوب صارع الرب فصرعه، وأسره، ولم يتركه حتى أخذ منه عهداً بالبركة، والاصطفاء له، ولذريته، فَسُمِّي (إسرائيل) !.

وكلمة (الإسراء) أصلها (سرى)، تدل على حركة متصلة غير محددة مكررة، وذلك أعطاها بُعد الاستمرار، وأعقبها إثارة وامتداد، التي هي دلالة صوت (آ)، ومجموعة الأصوات بهذا الترتيب لكلمة (سرى) صارت تدل على الحركة والبحث عن الطريق، الذي يوصل إلى الهدف، والوصول إليه، والتمسك به باستقامة، والسير فيه بامتداد زماني ومكاني، وهذا يمكن أن يحصل في الليل أو النهار، ومن هذا التحليل لكلمة (سرى)، قالوا: إنها تدل على الكشف والإزالة، مثل: سرى المرض **من جسم** المريض، وقالوا: إنها تدل على السير والتداخل، مثل: سرى المرض **في جسم** المريض، ومنه قولهم: الأمراض السارية، إلى غير ذلك من الأقوال.

والملاحظ في هذه الصور الدلالية لكلمة (سرى)، أنها صور استخدام وحدوث لدلالة

الكلمة في الواقع (معنى)، وليس دلالتها الأصلية (مفهوم)، لذلك نلاحظ أن دلالة كلمة (سرى)، قد تحققت في الصورتين: **خروج المرض** من جسم المريض، **ودخوله إليه**.

فمفهوم كلمة (سرى) واحد من حيث الأصل، ويظهر بمعاني مختلفة في الواقع.

أصل كلمة الله

٢- **إيل**: ظهرت في الثقافة العربية بصورة مُبكّرة على لسان بني إسرائيل، لتدل على الخالق المدبر﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد ٣)، وبالذات على صفة (الأَوَّلُ) المستمر في وجوده، وهيمنته على أفعاله بصورة مباشرة، وهذه دلالة تحليل صوت حرف (ل)، ومع تطور المجتمع الإنساني وارتقاء تفكيره، وصل إلى مفهوم صفة (الآخِرُ)، التي تدل على بقاء واستمرار الأول على ما هو عليه، فأضاف صوت حرف (ل) لكلمة (إيل) مع حذف الياء فصارت (إلل)، ولفظها بصورة مفخمة، ومع استمرار الارتقاء بالتفكير، والانعتاق من التجسيم، والوصول إلى الفكر المجرد، والتعامل مع الأفكار، لا مع الأشياء، أو الأشخاص، وصل المجتمع الإنساني إلى مفهوم الإيمان بالغيب مع تأثير ذلك على الحاضر، والتعامل معه كذلك، فأضاف صوت حرف (هـ) لكلمة (إلل)، فصارت (إلله) لتضيف إلى مفهوم (الأَوَّلُ وَالآخِرُ) مفهوم (الظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ)، الذي هو دلالة صوت (هـ)، التأرجح بصورة خفيفة، ويُسمى حرفاً غيبياً، كونه يصدر من الجوف، وظهر ذلك من خلال غياب ذات الله عن التصور، والتشيؤ، والتمثل، والتشبه، والتجسم، ومن باب أولى التنزه عن الحلول والاتحاد، وظهور أسمائه الفعلية (الخالق، المحيي، المميت، الرازق..) بصورة مشاهدة في الواقع لتؤكد، وتثبت وجوده الذاتي الموضوعي، ومع استمرار استخدام كلمة (إلله)، تم تبديل حركة الهمزة من الكسر إلى الفتح لسهولة النطق، والعرب تميل فطرة في أسلوب كلامها إلى السهولة واللين في استخدام النطق بالكلام.

وبناء على ما ذكرت، لا يوجد (أل) تعريف في كلمة (الله)، لأنها من أصل الكلمة، ولو كانت مضافة إليها لصح إزالتها دون أن يتَغيّر المعنى، سوى نقلها من حالة المعرفة إلى النكرة، وكذلك ليس لها جذر فاستحال الاشتقاق منها. وبالتالي صارت كلمة **(الله) اسم**

عَلَم مفرد جامد لا جمع لها، وغير قابلة للاشتقاق، ولا تدل إلا على الخالق المدبر حصراً، وبذلك يتطابق هذا المفهوم مع الواقع تماماً من حيث أنه لا إله إلا الله.

أما كلمة (إله)، فقد وُجدت نتيجة وجود مفهوم التعددية، والشرك مع الله، الذي هو مفهوم عارض، ومَرضي في المجتمع الإنساني، لأن الأصل هو الوحدانية والإيمان، وليس الشرك أو الكفر، وقام هؤلاء بأخذ كلمة (إله) من بداية مرحلة نشوء مفهوم كلمة (الله)، التي هي (إيله) فظهر مفهوم قاصر للألوهية، لا يشمل دلالة ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد ٣)، وإنما يدل على بعض من مفهوم كلمة (الله).

ومن هذا الوجه ظهر في التصور الإنساني مفهوم تعدد الآلهة، وتَقاسُمها الأدوار في إدارة وتدبير الوجود (أرباب مستقلة)، ليس له على أرض الواقع أي مصداقيّة مع وجود واستمرار مفهوم (الله)، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان ٢٥)، فالخالق الأول في الثقافة الإنسانية قاطبة، هو الله لا شريك له أبداً.

وكانت الآلهة المتخذة من قبل الناس إنما هو بمفهوم الربوبية من الإدارة والتدبير (أرباب)، وهؤلاء الأرباب مخلوقون للخالق المدبر الرب الأعلى، ولكنهم مستقلون عن الله بالتدبير للناس، وبناء على ذلك عبدوهم من دون الله أو معه.

وهذا هو أحد صور الشرك مع الله العظيم، الذي حاربه جميع الأنبياء والرسل ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف ٧٣)، فكان مطلب الأنبياء والرسل توحيد العبادة لله، **والله معروف عند الناس، وليس نكرة**، لذا، **لم يكن هذا المفهوم في أي مرحلة تاريخية محل اختلاف، أو نقاش، أو إنكار، ولم يأت القرءان ليثبت وجود الله**، وإنما أتى لتصويب توحيد العبادة والإيمان، لذا، كان التصديق بوجود الله كخالق فطرة مُسلَّم بها غير قابلة للبرهنة أو النقاش، والإيمان به حرية واختيار ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف ٢٩).

فكلمة (إله) ظهرت في المجتمع بعد ظهور كلمة (الله)، وبالتالي، ليست أصلاً لها،

ودلالتها قاصرة لا تشمل دلالة كلمة (الله)، والعكس صواب، بمعنى أن الله هو إله، وليس من أُطلق عليه كلمة إله هو الله، أما إذا أضفنا (الـ) التعريف إلى كلمة (إله) تصير (الإله)، وبذلك التعريف رجعت إلى المفهوم المعروف سابقاً (الله)، أما بصيغتها النكرة، فهي تدل على تصور ذهني قاصر ومحدود في صفاته، لذا، أتى القرءان دائماً ليُصَوّب هذا المفهوم، ويُرجعه إلى مفهوم (الله)، أو يستخدم التحديد والاستثناء بعد كلمة إله، نحو: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ﴾ (المائدة ٧٣)، ليصير مفهوم كلمة (الله)، و (الإله)، و(إله واحد)، يدل على (الله) وحده لا شريك له. وتصير جملة:

لا إله: نفي هذه الآلهة (الأرباب المستقلين) الذهنية القاصرة، والمحدودة في أفعالها، وإثبات الوجود الحقيقي الفاعل في الواقع للخالق المدبر الرب الأعلى، المعروف مسبقاً للجميع، (**إلا الله**) وينتج عن ذلك ضرورة مفهوم توحيد العبادة للواحد الأحد، الله. سبحانه وتعالى عَمَّا يَصفون، ما قَدروا الله حقَّ قَدره.

وتم دمج كلمة (إيل) مع كلمة (إسرا) لتصير (إسرائيل)، **التي تدل على الباحث عن طريق التوحيد، والوصول إليه، والتمسك به إيماناً**، وهذا التحليل، تم ترجمته إلى مفهوم كلي من باب تفسير الشيء بمآله، فقالوا: إن كلمة (إسرائيل)، تدل على (عبد الله) في النهاية. وهذا التفسير مَقبول للتعليم، ولعامة الناس، وليس للباحثين أو العلماء.

وصار مفهوم (يا بني إسرائيل) يدل على (يا أبناء الباحثين عن الحقيقة) ونحن امتداد لهم في البحث عن الحقيقة، وبالتالي ينتفي عن بني إسرائيل صفة التهود أو التنصر.

لذا، اقتضى التنبيه من اختراق اليهود لثقافتنا، وكشف محاولتهم إمرار دلالة كلمة (إسرائيل)، بأنها (أَسرُ الله).

إسرائيل ليس يعقوب

أول أمر ينبغي أن نلاحظه، هو أن إسرائيل رجل صالح ليس من ذرية النَّبيِّ إبراهيم.

قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ (مريم ٥٨).

لقد ذكر النَّصُّ (وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) وذريته تبدأ من إسحاق، ويعقوب، ويوسف، ومن يأتي بعدهم، **فالنَّبيُّ يعقوب هو من ذرية النَّبيِّ إبراهيم عليهم السلام جميعاً**، والخطاب يتضمنه ضرورة، وبما أن النَّصَّ قد ذكر (إِسْرَائِيلَ) معطوفاً على النَّبيِّ إبراهيم، فقطعاً غير داخل في خطاب (وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) لأن ذلك عبث، وحشو، منزه عنه النَّصُّ القرءاني، والمقصود هو اشتراك النَّبيِّ إبراهيم، وإسرائيل في جملة (وَمِن ذُرِّيَّةِ) بمعنى، ومن ذرية إبراهيم، ومن ذرية إسرائيل، وعدم تكرار كلمة (ذرية) لإسرائيل هو للدلالة على اشتراك ذريتهما وتداخلهما معاً.

وبنو إسرائيل هم أرومة القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، ويحتضنون ذرية النَّبيِّ إبراهيم، وهم من ذرية ممن حملنا مع نوح ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً ـذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ (الإسراء ٢-٣)، ولا علاقة لليهود بذلك قط.

والدليل الآخر: هو أن يعقوب قد ذكره الله في كتابه بأنه نبي وإمام﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ *وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء ٧٢-٧٣) ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً﴾ (مريم ٤٩).

بينما لم يذكر الله إسرائيل كنبيٍّ أبداً، مع ذكر نبوة الجميع فرداً، فرداً. ما يدل على أن إسرائيل ليس نبياً، وبالتالي ليس هو النبيَّ يعقوب.

والدليل الثالث: هو أن النَّبيَّ لا يحق له فعل التحريم لشيء أبداً، لا على نفسه، ولا على غيره، لأنه مأمور باتِّباع ما أنزل الله عليه، وفي حال مخالفة هذا الأمر من قبل النَّبيِّ سرعان ما ينزل التنبيه والتصويب لإرجاع الأمور إلى نصابها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التحريم ١)، بينما نجد أن إسرائيل قد قام بتحريم بعض الأمور على نفسه دون أمر من الله ظناً منه أنه يتزلف إلى الله بذلك التحريم، ولم ينزل عليه أي وحي إلهي يصوِّب له هذا الفعل، الذي ما ينبغي أن يفعله، لأن صفة التحريم هي صفة فعل لله لا يشاركه فيها أحد.

قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِـلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران ٩٣).

الدليل الرابع: لم يذكر النَّصُّ القرءاني صراحة أن النَّبيَّ يعقوب قد قام بتحريم أي أمر من تلقاء نفسه، وإنما ذكره دائماً بالنُّبوَّة والاتِّباع للوحي، وفعل الخيرات، وجعله إمام هداية للناس، بخلاف إسرائيل فقد حرَّم على نفسه ما أحلَّ الله له.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ *وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء ٧٢-٧٣).

النتيجة

إن القرءان قد ذكر إسرائيل بصورة مستقلة تماماً عن النَّبيِّ يعقوب، وبالتالي، لكل منهما شخصيته المنفردة عن الآخر، فإسرائيل ليس نبياً، وإنما هو رجل صالح له ذرية انتشرت في شبه الجزيرة العربية، وتداخلت مع الذريات الأخرى وانصهرت معها، وغلبت عليها إلى درجة أن دخلت الذريات الأخرى في عموم خطاب (يا بني إسرائيل)، أما يعقوب فهو نبي من ذرية النَّبيِّ إبراهيم - عليهم السلام جميعاً-، وبالتالي، لا يوجد علاقة نسب لبني إسرائيل بالنَّبيِّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام جميعاً-.

الأسباط ليسوا أولاد يعقوب

لقد انتشر مفهوم مفاده أن الأسباط هم أولاد النَّبيِّ يعقوب، رغم أن القرءان قد ذكر أن الأسباط هم أنبياء، ومن المعلوم أن معظم أولاد يعقوب تآمروا في محاولة قتل النَّبيِّ يوسف، وكذبوا على أبيهم، وجعلوه يدخل في حالة حُزن شديد حتى ابيضَّت عَيناه من الحزن !.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف ٨٤).

فهل هذا عمل أنبياء ؟!

وعلى الجانب الآخر، ذكر النَّصُّ القرءاني أن الأسباط قد أُوحي إليهم، ومدحهم الله وذكرهم مع أئمة الهدى – عليهم السلام–، قال تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ (النساء ١٦٣).

وقال: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة ١٣٦).

بينما أولاد يعقوب – سوى يوسف – لم يوحَ إليهم، ولم يصفهم الله بالنُّبوَّة أبداً !

مفهوم كلمة (مصر) في القرءان

كلمة (مصر) من التمصير، وهي تدل على الجمع المتصل بحركة محددة مكررة، وتطلق على المكان الذي يقطنه تجمع من الناس تربطهم علاقات متصلة محددة متبادلة بينهم قائمين بشؤون أنفسهم واحتياجاتهم.

وهي تدل على البلدة المسكونة المهيأة بالأسواق التجارية والأعمال والصناعة لتكون مركزاً لمن حولها من البلدان والقرى، ومَصَّر الحاكم بلدة معينة إذا جعلها محددة المعالم ومركزاً للصناعات والتجارة والإقامة.

وأتت كلمة (مصر) في القرءان خمس مرات، واحدة منهم أتت بصيغة نكرة (مصراً) وهي تدل على أي مصر من الأمصار يختاره بنو إسرائيل للإقامة فيه والاستفادة من معطيات مصر المدينة.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة ٦١).

وأتت في النصوص الأربعة المتبقية بسياق بلدة محددة معروفة للمخاطب كمركز تجمع بشري دائم تجارياً وصناعياً، ولم يعطِ أو يحدد القرءان اسم مصر في الواقع أي البلاد هي، لأن القرءان ليس كتاب جغرافية أو تاريخ، ولا يهتم بهذه القضايا الجزئية، والتفاصيل متروكة للإنسان ليدرسها من خارج القرءان.

١. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا **بِمِصْرَ بُيُوتاً** وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس ٨٧).

٢. ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ **مِن مِّصْرَ** لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف ٢١).

٣. ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ **ادْخُلُواْ مِصْرَ** إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف ٩٩).

٤. ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي **مُلْكُ مِصْرَ** وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف ٥١).

والنَّصُّ الأخير وهو قول فرعون: (قال يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي **مُلْكُ مِصْرَ**) يتكلم عن البلدة التي يحكمها وهو واقف فيها يخاطب الناس، فهي معروفة لديه ولدى الناس الذي يستمعون له، وليست نكرة لهم، ولا يقصد النَّصُّ القرءاني أن اسم البلد مصر مثل مكة أو غيرها من أسماء البلدان المتداولة بين الناس.

ولا علاقة لبلدة مصر الحالية في القرءان كله، وما قيل في ذلك الشأن هو التباس حصل عند المفسرين لوجود بلد بهذا الاسم قديماً، فظنوا أنها المقصد من النَّصِّ القرءاني، وجَيَّروا الأحداث التي ذكرها القرءان عليها، وهذا خطأ فاحش وتحريف للتاريخ مقصود من قبل اليهود، أما أين جرت الأحداث المذكورة في القرءان، المتعلقة بالنَّبيِّ يعقوب والنَّبيِّ يوسف، وبني إسرائيل وموسى وفرعون، فهذا موضوع آخر يحتاج لدراسة عميقة.

وبلدة مصر الحالية اسمها التاريخي هو القبط (Egypt)، وهكذا ورد في الرسالة التي وجهها النَّبيُّ محمَّد الخاتمي إلى حاكم البلد بقوله: (إلى عظيم القبط).

الشجرة الملعونة في القرءان

لقد ذهب أهل التفسير في شرح دلالة كلمة (الشجرة) من النَّصِّ القرءاني التالي:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القرءان وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾ (الإسراء٦٠)، إلى أنها شجرة نباتية تخرج من أصل الجحيم، وهي المقصودة بشجرة الزقوم في قوله تعالى: ﴿لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ (الواقعة ٥٢)، وذلك التفسير كان نتيجة التعامل مع النَّصِّ القرءاني بصورة سطحية، وأخذ ما انتشر وشاع بين الناس من استخدام لدلالة الكلمة، **وفهم دلالة الكلمات في النَّصِّ القرءاني بصورة مُجَزَّأَةٍ من منظومة النَّصِّ وحركته الواقعية.**

إن فهم دلالة كلمة من نص قرءاني لا يمكن أن يحصل بصورة مُقتطعة من سياق النص، أو الركون إلى اعتماد الشائع في تصورات الناس المعيشية، بل لا بُدَّ من فهم دلالة جذر الكلمة لساناً، وبعد ذلك فهم حركة هذه الدلالة في تناغمها مع المفردات الأخرى التي تم استخدامها في بناء النص، وبعد ذلك يتم إسقاط النَّصِّ على محلِّه من الخطاب (الواقع)، **لأن الواقع هو البوصلة الذي يحدد صور دلالات كلمات النص، والمقصود منها، كما أن الواقع هو أساس للِّسان، ومحل للتخاطب، واللِّسان هو مرآة صوتية للواقع، وبالتالي ينبغي دراسة الأصل (الواقع)، وليس صورته (اللسان).**

إن كلمة (الشَّجرة) من شَجَرَ، التي تدل على تداخل وتشابك الأشياء ببعضها سواء أكانت مادية أم معنوية. نحو قولنا: المشاجرة، إذا تداخل اثنان في عملية نزاع بالأيدي، أو الأرجل أو بالعلاقات. قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ (النساء٦٥) بمعنى فيما تداخل بينهم من مصالح، وعلاقات اختلفوا فيها.

وسُمِّيت (الشجرة)، شجرة، لأن أغصانها مُتداخلة ببعضها، ومن ذلك الوجه أطلقنا على صورة نسل العائلة (شجرة العائلة)، لتداخل العلاقات بين أفرادها.

فما هي دلالة كلمة (الشجرة) في النَّصِّ القرءاني التالي:

(وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القرءان) ؟

بعد أن عرفنا أنّ دلالة كلمة الشجرة من حيث الأصل هي التداخل والتشابك والعلاقات بين الأشياء، نأتي لمعرفة علاقة هذه الكلمة مع الكلمات الأخرى في النَّصِّ، وملاحظة حركة النَّصِّ في الواقع.

نلاحظ في النَّصِّ وجود كلمة (ملعونة) أتت وصفاً لكلمة (الشجرة)، ومن المعلوم أن دلالة كلمة (اللعن) هي الطرد والغضب والنبذ للشيء، وهذه الدلالة لا تُستَخدم لغير العاقل الحرِّ، فلا يصح لساناً، ولا واقعاً، طرد الحجر، أو الغضب على الخشب، أو نبذ الحديد، لأنها كائنات لا يصدرُ عنها سلوك يدعو إلى تعلق الطرد، أو الغضب بها؛ ما يدل ضرورة على أن دلالة كلمة (الشجرة) في النَّصِّ المذكور، تعني: تداخل وتشابك العلاقات والمصالح بين الناس.

إنَّ العلاقات والمصالح بين الناس هي أفعال للناس (المجتمع)، وبالتالي فاللعن موجه إلى الفاعل، وليس إلى الفعل.

فمن هو المجتمع الفاعل صاحب الأفعال التي ترتب على ممارستها لَعنه والغضب عليه؟

اليهود هم الشجرة الملعونة

نجد جواب ذلك في سياق النَّصِّ ذاته (وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْءانِ)، إذاً، المجتمع الملعون مذكور في القرءان، فينبغي البحث عنه داخل النصوص القرءانية !.

وعند البحث عن المجتمع الملعون في القرءان، نجد أنه المجتمع اليهودي صاحب الأفعال

القبيحة والفاسدة، التي ترتب عليها لَعنه والغضب عليه. قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة ٧٨)، وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة ٦٤).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ (المائدة٦٠).

وذكر الله هذا المجتمع الملعون في القرءان بسبب أفعاله، ومنهجه في الحياة، ليحذرنا من إيجاد علاقات وتشابك (الشجرة) معه، لأن حصول ذلك التشاجر هو دعم لأصل الشجرة (المجتمع) الملعونة، وضعف للمجتمع الآخر، وذهاب لسيادته وانتشار الفساد والظلم فيه، وهذا يقتضي استغراق المجتمع الآخر باللعن، لاتصافه بصفات المجتمع الملعون، واللعن ليس مرتبطاً بقومية، وإنما بأفعال، فمن مارسها استحق اللعن كائناً من كان.

شجرة آدم وشجرة إبليس

وهذه القاعدة الاجتماعية، علمنا إياها رب العالمين منذ أبينا آدم الأول، عندما نهاه عن بناء علاقات مع مجتمع إبليس، بقوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف ١٩). ومن السذاجة أن نقصر دلالة كلمة (أكل) على الطعام، وإنما هي تدل على مطلق تناول الشيء وأخذه، انظر قوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (النساء ١٦١)، ولكن أبانا آدم، ضعف ونسي جراء وسوسة إبليس، وَوَعده له، بأنه إن قام بإيجاد هذه التَّحالفات والتطبيع والعلاقات الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية

مع مجتمع إبليس، فسوف يصيران مجتمعاً واحداً قوياً، وشديداً في اقتصاده، ومُلكه، وسوف يتوارث أبناؤهما ذلك الملك، بحيث لن يَهلك، أو يَبلى في المنظور البعيد، لأن أبانا آدم سوف يصيبه الموت لا محالة، وكذلك إبليس، واستمر إبليس في بَعث رسله، ووسوسته، **إلى أن وقع آدم في حبائله، وأقام دعائم ذلك التحالف، والتطبيع، والوحدة بين المجتمعين** ظناً منه أن ذلك يرسخ خلوداً لملكه من بعده في ذريته!.

والذي حدث، أن مجتمع إبليس سيطر، وهيمن على مجتمع آدم، من خلال امتلاكه الاقتصاد، ونشر الفساد والرذيلة في مجتمع آدم، الذي سرعان ما استجاب للشهوات ووقع في المحظور الاجتماعي، فأدركته سُنة الله في المجتمعات، فأهلكته وأصابته اللعنة، ومن ثم تاب آدم، ولكن توبته لا تغير النتيجة على أرض الواقع، وتم تفكيك مجتمع آدم وإزالته، وظهر مجتمع إبليس، وبرز من سلالة آدم صالحون ذادوا عن الحق، وبدأت المعركة الكبرى، واستمر الصراع بين الحق والباطل إلى يومنا هذا.

لذلك ينبغي الحذر من الاقتراب من الشجرة الملعونة، أو إيجاد أي تحالف، أو تطبيع، أو علاقات معها، لأن الفساد سرعان ما ينتشر ويصيب المجتمع ويهلكه (عدوى اجتماعية)، وبالتالي يستحق اللعن.

إسراء النَّبيِّ محمَّد حقيقة وليس خيالاً

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الإسراء ١).

وكلمة إسراء من سرى: وهي كلمة تدل على حركة حرة مكررة منتهية بامتداد زماني مكاني. وقد سبق بيان ذلك وتوضيحه.

ويمكن أن يكون الإسراء في الليل أو النهار بدليل ذكر كلمة الليل بعد كلمة الإسراء في النَّصِّ (أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) ولو أن الإسراء لا يكون إلاَّ في الليل لما كان يوجد حاجة لذكر كلمة (ليلاً) بعد كلمة الإسراء لحصول المعنى في ذهن المتلقي، كما أن الإسراء يمكن أن يكون في السموات، ويمكن أن يكون في الأرض، فهو غير مقيد بجهة السفلى أو العليا.

قال المفسرون: إن الإسراء قد تم للنَّبيِّ محمَّد في مكة، واختلفوا بعملية الإسراء هل كانت بالنفس فقط، أو بالنفس والجسم.

١ - فأصحاب رأي الإسراء بالنفس، كان دليلهم عدم مغادرة النَّبيِّ محمَّد مكة وجوارها أبداً منذ أن تم اصطفاؤه للنبوة، وتكليفُه بالدعوة.

٢ - أما أصحاب رأي الإسراء بالنفس والجسم، فدليلهم هو النَّصُّ القرءاني ذاته، فقالوا: الأصل في الخطاب القرءاني الحقيقة، وليس المجاز، والله يقول: (أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) فمعنى ذلك أن الإسراء حقيقة كاملة، والقول بأن الإسراء تم بالنفس أثناء النوم، قول مرجوح، لأن الرؤية تصير ذهنية، وهذه الرؤية الذهنية لا يُعَوَّل عليها، ولا يَعتَدُّ بها صاحبها، ولا يقول: ذهبت في رحلة، ورأيت آيات الله، بخلاف الرؤية الواعية فهي متعلقة بوجود موضوعي حقيقي، يترتب عليها أمور كثيرة على صعيد النفس والعقل، (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا).

والذي أراه صواباً، هو أن الإسراء تم في حالة نوم الجسم، فغادرت النفس الجسم الأرضي، ولبست جسماً آخر يناسب رحلتها تم استعماله في رحلة الإسراء بالنَّبيِّ محمَّد مثل الذين يُقتلون في سبيل الله، فتنزل نفوسهم في أجسام خاصة تناسب الوضع الجديد يحيون بها ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران ١٦٩)، وبذلك يكون كل من الرأيين صواب من جانب.

ودلَّ نص الإسراء على ثلاثة أمور:

أولاً: إنَّ النَّصَّ يتكلم عن عملية إسراء قد تمت في الواقع حقيقة، وليست مناماً.

ثانياً: الإسراء رحلة معرفية إدراكية تمت ليلاً، كما ذكر نص الإسراء:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بعبده لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الإسراء ١).

ثالثاً: صاحب الإسراء هو النَّبيُّ محمَّد ودليلنا كلمة (بعبده)، والضمير يعود إلى جهة معروفة هي محلُّ تعلُّق الكلام، انظر الآيات في بداية سورة النجم ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ (الكهف ١) فمحلُّ الكلام هو الرسول محمَّد وليس غيره، وهذا أسلوب القرءان في الخطاب، فإنه يتكلم عن واقع حيٍّ ويشارك المتلقي للخطاب بالمعنى والوصول إليه، ويوجد كثير من الاعتراضات في السياقات معروفة للباحث في القرءان ويعود الخطاب يتابع ذكر الحدث.

وضمير الغائب يرجع للخلف منطقياً، ولا يلحق مذكور بعده، فكيف يكون ضمير كلمة (عبده) يلحق النَّبيَّ موسى المذكور بعده في نصٍّ آخر بدأ بواو استئنافية؟

وإسراء النَّبيِّ موسى متعلِّق بقومه وليس بمفرده كما هو معروف اقرؤوا هذه النصوص:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى﴾ (طه ٧٧).

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ (الشعراء ٥٢).

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ (الدخان ٢٣).

وهذا يدل على أن الإسراء من المسجد الحرام لم يكن للنَّبيِّ موسى وإنما للنَّبيِّ محمَّد.

المسجد الأقصى
ليس هو مسجد بني أمية في فلسطين

أما جهة الإسراء، فهي ليست المسجد الأقصى المعروف في القدس (إيلياء)، وذلك لعدة أمور:

١. الإسراء كان رحلة كونية معرفية إدراكية، لرفع المستوى المعرفي للنَّبيِّ، ولرفع معنويَّاته الإيمانية، وإكرامه، (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)، وذلك ليعود داعياً إلى الله بقوة، وثقة كبيرة.

٢. بات معروفاً بين الباحثين والمختصين في العمارة الإسلامية أن مبنى المسجد الأقصى الحالي، هو المسجد الأقصى الثاني، باعتبار أن المسجد الأقصى الأول (مُصلّى عمر) هو ذاك الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هجرية/ ٦٣٤-٦٤٤ ميلادية)، بعد الفتح الإسلامي لبيت المقدس سنة (١٥هجرية / ٦٣٦ ميلادية) حيث كان يقوم في الجهة الجنوبية الشرقية للحرم الشريف، والذي امتاز بناؤه بالبساطة المتناهية.

وعلى ما يبدو أن هذا المسجد لم يصمد طويلاً أمام تقلبات العوامل الطبيعية المؤثرة وذلك لبدائية إنشائيته، حتى قام الأمويون بتأسيس المسجد الأقصى الحالي وبنائه.

بنى المسجد الأقصى (مسجد بني أمية) الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦ هجرية/ ٧٠٥-٧١٥ ميلادية)، في الفترة الواقعة ما بين (٩٠-٩٦ هجرية/ ٧٠٩-٧١٤ ميلادية) فقد أكدت ذلك وثائق البردي (أوراق البردي) التي احتوت على مراسلات بين قرة بن شريك عامل مصر الأموي (٩٠-٩٦ هجرية/ ٧٠٩-٧١٤ ميلادية) وأحد حكام الصعيد، حيث تضمنت كشفاً بنفقات العمال الذين شاركوا في بناء المسجد الأقصى؛ **ما يؤكد أن الذي بنى المسجد الأقصى (مسجد بني أمية) هو الخليفة الوليد بن عبد الملك.**

وفي ضوء الحفريات التي جرت في الجهة الجنوبية للمسجد الأقصى، والتي كشفت النقاب عن المخطط المعماري لدار الإمارة الأموية في بيت المقدس، من خلال البقايا المعمارية والأثرية لخمسة مبان ضخمة عبارة عن قصور وقاعات كبيرة، دلَّت وأكدت تاريخ الأمويين العريق في بيت المقدس.

ولقد غيرت هذه الاكتشافات الجديدة، نظريات وآراء عديدة فيما يخص تاريخ بعض المعالم الأثرية في المسجد، مثل الأثر الذي يعرف بإسطبل سليمان وباب الرحمة وغيرها، وكان قد عَلِقَ في أذهان العديد من الباحثين والمختصين على أن تاريخ تلك المعالم يعود لفترات سبقت الفتح الإسلامي لبيت المقدس، ولكن ما إن ظهرت هذه المكتشفات الجديدة، حتى غيَّرت هذه الآراء والمفاهيم؛ ما اضطر الباحثين إلى إعادة بحثهم ودراساتهم في ضوء (دار الإمارة) الأموية.

وكانت مساحة المسجد الأقصى في **العهد الأموي** أكبر بكثير مما هي عليه الآن، وقد ظل المسجد قائماً بتخطيطه الأصلي الأموي حتى سنة ١٣٠هجرية/ ٧٤٦ ميلادية، حيث تهدَّم جانباه الغربي والشرقي جرَّاء الهزة الأرضية التي حدثت في تلك السنة.

وفي **الفترة العباسية** تم ترميم المسجد الأقصى لأول مرة في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨ هجرية/ ٧٥٤-٧٧٥ ميلادية)، ولكنه ما لبث أن تعرض لهزة أرضية عنيفة ثانية، وذلك في سنة ١٥٨ هجرية/ ٧٧٤ ميلادية؛ ما أدى إلى تدمير معظم البناء، الأمر الذي دفع الخليفة العباسي المهدي (١٥٨-١٦٩ هجرية/ ٧٧٥-٧٨٥ ميلادية)، لأنْ يقوم بترميمه وإعادة بنائه من جديد في سنة ١٦٣هجرية/ ٧٨٠ ميلادية.

وقد كان المسجد الأقصى في عهده يتألف من خمسة عشر رواقاً، وذلك حسب ما جاء في وصفه عند المقدسي.

وفي **الفترة الفاطمية،** تعرض المسجد الأقصى لهزة أرضية أخرى حدثت سنة ٤٢٥هجرية/ ١٠٣٣ ميلادية، أدت إلى تدمير معظم ما عُمِّر في عهد المهدي، حتى قام الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧ هجرية/ ١٠٢١-١٠٣٦ ميلادية) بترميمه في سنة ٤٢٦ هجرية/ ١٠٣٥ ميلادية، حيث قام باختصاره على شكله الحالي،

وذلك عن طريق حذف أربعة أروقة من كل جهة، الغربية والشرقية، كما قام بترميم القبة وزخارفها من الداخل.

الاحتلال الصليبي

ولما احتل الصليبيون بيت المقدس سنة ٤٩٢ هجرية/ ١٠٩٩ ميلادية، قاموا بتغيير معالم المسجد الأقصى (مسجد بني أمية) واستخدموه لأغراضهم الخاصة، منتهكين في ذلك حرمته الدينية، فقاموا بتحويل قسم منه إلى كنيسة والقسم الآخر مساكن لفرسان الهيكل، كما أضافوا إليه من الناحية الغربية بناءً استخدموه مستودعاً لذخائرهم.

وقد زاد استهتارهم وانتهاكهم لقدسية المسجد الأقصى عندما استخدموا الأروقة الواقعة أسفل المسجد الأقصى كإسطبلات لخيولهم، والتي عرفت منذ تلك اللحظة بإسطبل أو إسطبلات سليمان. وقد ظل المسجد الأقصى منتهكاً بهذا الشكل طوال فترة الغزو الصليبي لبيت المقدس، وحتى الفتح الصلاحي سنة ٥٨٣ هجرية/ ١١٨٧م.

الأيوبيّون

وفي سنة ٥٨٣ هجرية/ ١١٨٧ ميلادية، فتح الله على القائد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩ هجرية/ ١١٩-١١٩٣ميلادية) باسترداد بيت المقدس وتطهير المسجد الأموي من دنس الصليبيين، **حيث قام صلاح الدين بإعادة المسجد الأقصى إلى ما كان عليه قبل الغزو الصليبي له، والشروع بترميمه وإصلاحه.**

وقد تابع الأيوبيون بعد صلاح الدين، اهتمامهم في الحفاظ على المسجد الأقصى، حيث قام السلطان الملك المعظم عيسى (٦١٤-٦٢٤هجرية/ ١٢١٨-١٢٢٧ ميلادية)، في سنة ٦١٤ هجرية/ ١٢١٨ ميلادية، بإضافة الرواق الذي يتقدم الواجهة الشمالية للمسجد الأقصى، والذي يُعد اليوم الواجهة الشمالية ذاتها للمسجد الأقصى.

وقد أشير إلى تعميره من خلال النقش التذكاري الموجود بواجهة الرواق الأوسط منه، والذي جاء فيه ما نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم أنشأت هذه الأروقة في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبي العزائم عيسى بن الملك العادل

سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي بكر بن أيوب بن شادي خليل أمير المؤمنين خلد الله ملكهما، وذلك في سنة أربع عشرة وستمئة للهجرة النبوية، وصلى الله على محمَّد وآله).

الخلاصة:

المسجد الأقصى المعروف الآن، **لم يكن موجوداً في عهد النُّبوَّة**. فقد جدَّد بناؤه صلاح الدين الأيوبي عندما حرَّر فلسطين من الصليبيين **الذين حَوَّلوا مسجد بني أمية** إلى كنيسة، ومسجد بني أمية شُيِّد على **أنقاض مُصلَّى عمر بن الخطاب** الذي بُني بأمر منه بعد فتح إيلياء على أرض كانت مَكَبّاً للقمامة، فهي أرض مُهملة لا صاحب لها، **فاسم المسجد الأقصى أطلقه صلاح الدين الأيوبي على مسجد بني أمية بعد تجديده وإزالة أثر الكنيسة تَيمُّناً بورود المسجد الأقصى في القرءان.**

٣. القدس، أو بيت المقدس اسم أطلقه الأخمينيُّون على إيلياء، وكانت المنطقة معروفة بين سكانها باسم إيلياء، هكذا ورد اسمها في كتاب الصلح والتسليم بين عمر بن الخطاب، والمسيحيين العرب، أهل المنطقة وسكانها.

٤. المسجد الأقصى، أو بيت المقدس، أو القدس ليست قبلة اليهود، ولا النصارى، **فاليهود يستقبلون بصلاتهم جهة الشمال، وتتَّجه النصارى إلى جهة الشرق،** (قبلة فلكية)، هكذا تم بناء معابدهم، وكنائسهم.

٥. **كان يتَّجه النَّبيُّ محمَّد في صلاته في الفترة الأولى إلى الكعبة قبلة الأنبياء جميعاً،** وأسوة بالنَّبيِّ إبراهيم، وكان قوم النَّبيِّ يقدسون الكعبة، ويستقبلونها أيضاً بعبادتهم الشركية ويحجُّون إليها، فلو استمر النَّبيُّ باستقبال الكعبة في صلاته لما كان في حاجة لتقلب وجهه في السماء، والطلب من الله أن يستقبل قبلة يرضاها وهي الكعبة (الرجوع إلى ما كان عليه).

اقرأ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ

﴿أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ١٤٤)، لو كان حين نزول النَّصِّ يستقبل الكعبة لما كان في حاجة لقوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾.

فهذا يدل على أنه كان يستقبل قبلةً لا يرضاها، وهي ليست الكعبة بدليل أن الأمر نزل (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ) ولو كانت القبلة الكعبة فهو يرضاها مسبقاً، ولا حاجة لنزول النَّصِّ كله، ولا حاجة أيضاً لنزول النَّصِّ الآخر ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة ١٤٣)، اقرأ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ كلام عن قبلة في الماضي، وهي ليست محلَّ رضا النَّبيِّ، وهذا الأمر جعله الله ابتلاءً وامتحاناً لأتباع النَّبيِّ حينئذ ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ ولو كانت الكعبة هي المقصودة، لما كان في حاجة لهذا الابتلاء، لأنه لم يتغيَّر شيء، والكعبة قبلة العرب أصلاً.

والملاحظ أن الأمر بتغيير القبلة من الكعبة التي كان يستقبلها النَّبيُّ بصلاته بداهة إلى جهة غيرها (جهة الشمال وليس المسجد الأقصى أو المقدس) أتى خارج النَّصِّ القرءاني، وذلك لأنه حكم ظرفي ليس ثابتاً، ونزل الأمر بالرجوع إلى القبلة الأولى في النَّصِّ القرءاني، لأنه أمر ثابت مستمر.

فالقبلة الأولى هي الكعبة، والثانية هي جهة فلكية (الشمال)، وبعدها رجعت القبلة الأولى (الكعبة).

وجهة الشمال للمدينة المنورة جغرافياً، يحدها امتداد أرض الحجاز والأردن وقسم من العراق، وسورية، أما فلسطين، فهي في جهة الشمال الغربي بالنسبة للمدينة. انظر الخبر الذي أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن ابن عمر قال: (بينما الناس بِقبا في صلاة الصبح إذ جاءهم آت، فقال: إن النَّبيَّ قد أُنزل عليه الليلة قرآن، وقد أُمر أن يستقبل القبلة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة). ودلالة كلمة الشام تعني الشمال.

٦. لا يوجد تحت المسجد الأقصى إلا أنقاض الآثار الإسلامية، والأيوبية بالذات، وتحتها أنقاض مسجد بني أمية، فلا وجود لهيكل سليمان، ولا لغيره، وهذا يدل على بطلان النظرية اليهودية!، وخاصة أنهم إلى الآن لم يجدوا شيئاً رغم الحفريات المستمرة، وحرصهم على ذلك، بل عثروا على آثار إسلامية، **وعلى افتراض وجود هيكل سليمان تحت المسجد الأقصى، فلا علاقة لليهود بذلك أبداً، لأن النَّبيَّ سليمان بُعث لبني إسرائيل، ولا علاقة لليهود ببني إسرائيل، وبالتالي، نحن أصحاب الهيكل - إن وجدوه - !.**

٧. كان النَّبيُّ يتجه في صلاته إلى الشمال، وفلسطين في جهة الشمال الغربي بالنسبة للمدينة، فحصل التباس، وتم دمج جهة الشمال مع المسجد الأقصى، أو القدس لتقارب الجهات.

٨. إن النَّصَّ ذكر صفة البركة في المسجد ذاته، وحوله ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، **والبركة تدل على النماء والزيادة، التي يترتب عليها الحفظ والأمن، والسلام، واستمرار ذلك،** والسؤال الذي يفرض ذاته هو، **أين البركة في المسجد الأقصى الحالي مع غياب الأمن والسلام، ووجود الخوف والجوع والدمار!؟**

٩. إن النَّصَّ قد ذكر سبب الرحلة ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، فأين الآيات التي رآها النَّبيُّ في طريق رحلته، أو عندما وصل إلى المسجد الأقصى، الذي لم يكن له وجود في زمانه؟

١٠. **بلاد الشام هي الأرض الأدنى نسبة إلى الحجاز، وليست الأقصى، قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم٣)، والمعركة حصلت في بلاد الشام بين الروم والفرس.**

وبناء على ما تم ذكره من نقاط يُستبعد أن يكون المقصد بالمسجد الأقصى المذكور في القرءان، هو مسجداً موجوداً في فلسطين، ومن باب أولى استبعاد وجوده في سيناء، التي هي جزء من سورية الكبرى، وامتداد طبيعي وجغرافي لها، ناهيك عن أن كلمة (الأقصى) ليست اسماً، وإنما هي صفة تدل على البُعد الشديد، فإذا كان المسجد الحرام هو نقطة بداية الإسراء من كوكب الأرض، والنَّصُّ القرءاني كوني بمعنى أن الذي يتلو النَّصَّ القرءاني في أي بقعة

على وجه الأرض ينبغي أن يصح المعنى، فكيف لو كان الشخص في المسجد الأقصى الحالي، ويتلو النَّصَّ القرءاني ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء ١)، وهذا يقتضي أن يكون المسجد الأقصى، نقطة بعيدة في أرجاء الكون، يتحقق فيها عملية السجود الكوني ! ولعلها الثقب الأسود كونه يُخَضِّع كل شيء يدخل مجاله حتى الضوء، وبالتالي ينطبق عليه اسم المسجد الأقصى، مع الانتباه إلى الفرق بين المسجِد (بكسر الجيم) والمسجَد (بفتح الجيم) التي على وزن معبد ومذبح ومسلخ ومعمل ومصنع، رغم أن كلمة (مسجَد) غير مستخدمة في اللِّسان العربي لعدم وجود هذا المعنى في الحياة العربية.

١١. وقائع تاريخ النَّبيِّ إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف إلى موسى، وبني إسرائيل، كلها كانت محصورة في منطقة شبه جزيرة العرب (اليمن الكبرى وبلاد الشام الكبرى)، ولم تمتد، أو تدخل إلى مصر الحالية، التي كانت معروفة باسم (القبط)، كما ورد اسمها في **الكتاب الذي بعثه النَّبيُّ محمَّد ووجهه بقوله: (إلى عظيم القبط)**، مع استثناء أرض سيناء، وإلحاقها بسورية الكبرى، (بلاد الشام)، فهي جزء من قارة آسيا.

المسجد الأقصى ليس في فلسطين عند أكابر علماء الشيعة

صدر كتاب « الصحيح من سيرة النَّبيِّ الأعظم» ومؤلفه عالم شيعي له وزنه بين علماء الشيعة، وهو يُدعى «جعفر مرتضى الحسيني العاملي» حصل هذا الكتاب على جائزة إيران للكتاب، وهي جائزة مميزة في الوسط الثقافي والديني الإيراني، وقد كرم الرئيس الإيراني «أحمدي نجاد» صاحب الكتاب.

ومؤلف الكتاب مولود في جبل عامل بجنوب لبنان، عام ١٩٤٥، وقد بدأ بتحصيل العلوم الشيعية منذ صغره عند والده، ثم توجه إلى النجف بالعراق عام ١٩٦٢ ليكمل تعليمه، وفي عام ١٩٦٨ انتقل إلى الحوزة العلمية في مدينة قم بإيران، حيث أتم تعليمه وأسس فيها بعض المدارس الشيعية، ثم عاد بعد ذلك إلى مسقط رأسه جبل عامل بجنوب لبنان عام ١٩٩٢، وهو دائم الانتقال بين لبنان والنجف وقم وطهران.

ماذا قال هذا العالم الشيعي في كتابه؟ قال في الجزء الثالث: «حين دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس لم يكن هناك مسجد أصلاً، فضلاً عن أن يسمى أقصى، وأن المسجد الأقصى الذي حصل الإسراء إليه، والذي بارك الله حوله هو في السماء، وقد تناولنا إثبات ذلك تفصيلاً في كتابنا «المسجد الأقصى، أين؟»».

وقد استدل على وجود المسجد الأقصى في السماء بكلام أكابر علماء الشيعة أمثال المجلسي في كتابه بحار الأنوار، وهو كتاب له اعتباره عند الشيعة. كما أن هذا العاملي قد أوضح في كتابه المسجد الأقصى، أين؟ «أن المسجد الأقصى يوجد في السماء الرابعة في البيت المعمور».

نقاش مع باحث قرءاني حول موقع المسجد الأقصا

كنت أتناقش مع أحد الباحثين القرءانيين عن مفهوم المسجد الأقصى في القرءان وأين هو في الواقع.

قال: هو في فلسطين المسجد المعروف.

قلت: من بنى هذا المسجد في فلسطين؟

قال: بُني من زمن بعيد جداً قبل بعث النَّبيِّ محمَّد.

قلت: ولكن التاريخ يقول غير ذلك، فعمر بن الخطاب عندما أتى للقدس وتسلَّم مفاتيحها لم يكن يوجد مسجد في القدس، وسكانها نصارى، وبنى عمر مصلًّى صغير معروف باسمه. وبقي هكذا إلى حكم بني أمية فبنوا مكانه مسجداً وسمي باسمهم مسجد بني أمية على غرار مسجد بني أمية في دمشق وحلب.

وعندما احتل الفرنجة القدس هدموا جزءاً من المسجد وطمسوا زخرفته وجعلوا جزءاً منه اصطبل لخيلهم والآخر كنيسة.

وعندما حرَّر صلاح الدين الأيوبي القدس أصلح الجزء المتعلِّق بالكنيسة وأزال الأيقونات النصرانية وأظهر الزخرفة الإسلامية والعمران وأرجعه مسجداً وأطلق عليه اسم الأقصى تيمُّناً باسم المسجد الأقصى في القرءان.

وعندما تأكد بنفسه من صواب تلك المعلومات تاريخياً. قال: معنى ذلك المسجد الأقصى اسم للأرض ذاتها محل البناء، والإسراء كان للأرض قبل ظهور البناء عليها، وكلمة مسجد لا يشترط أن تكون متعلِّقة ببناء.

قلت: نعم كلمة مسجد لا يشترط لها تعلقها ببناء، وهي متعلِّقة بمكان ضرورة، فهل ترى أن النَّبيَّ أُسري به إلى أرض فارغة وقيل له: هذا محل بناء المسجد الأقصى حُكماً، الذي سوف يبنى فيما بعد وفاتك بعشرات الأعوام، ونظر النَّبيُّ إلى الأرض الفارغة ورأى آيات ربه من حوله؟

قال: النصوص التاريخية المنسوبة للنَّبيِّ أقدم وجوداً من بناء المسجد وقد ذكرت اسم المسجد الأقصى.

قلت: النصوص الروائية اعتمدت على النَّصِّ القرءاني وهو أسبق بوجوده منها، واعتمدت على تحديده على الروايات اليهودية التلمودية، ودست في التراث الإسلامي، ومنذ متى كنت تأخذ بالروايات التاريخية وتجعلها برهاناً أو مصدراً علمياً؟

قال: لا أستطيع أن أرفض ما اتفقت عليه الأمة كلها؟

قلت: أي أمة تقصد؟ أليس الشيعة من الأمة أيضاً وهو لا يقولون أن المسجد الأقصى في القرءان هو ذاته المسجد الأقصى في فلسطين، ومنذ متى يعد الاتفاق أو الإجماع على فرض حصولهما برهاناً أو حجةً علميةً أو دينيةً؟

فصَمَتَ ولم يُجِرْ جواباً، ولكن أصر على أن المسجد الأقصى في القرءان هو ذاته المسجد الأقصى في فلسطين، والنفي له يوقعه في إرباك، لأنه متنبئٌ رياضياً من خلال القيمة العددية لنص قرءاني بسقوط وزوال دولة اليهود في عام ٢٠٢٢ م، مع العلم أنِّي بيَّنت له أن بني إسرائيل ليسوا هم اليهود الصهاينة، وإنما نحن بنو إسرائيل، وهم جزء من القبائل سكان المنطقة ومتداخلة ذرياتهم مع ذرية النَّبيِّين في المنطقة ذاتها، والقرءان نزل على بني إسرائيل وهم.

﴿إِنَّ هَذَا القرءان يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النمل٧٦).

وهذا يَبطُل المشروع السياسي اليهودي في التفكير بدخول مصر أو ضمها، على افتراض أن اليهود هم بنو إسرائيل، فكيف وهم منتحلون هوية بني إسرائيل؟!.

وبالتالي، **لا بُدَّ من إعادة دراسة التاريخ اعتماداً على القرءان**، وإسقاطه على أرض الواقع دون التأثر بوجهات نظر اليهود، أو التقسيمات السياسية، والاعتماد على العلم، وذلك لمعرفة المقصد من دلالة جملة (المَسْجِدِ الأَقْصَا) المذكورة في القرءان التي تشير دلالتها (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) إلى إسراء كوني، وإعادة ترتيب أوراق تاريخ الأمة، وأولوياتها العملية للنهضة بها، وَفْقَ رؤية ثقافية واقعية دون أن يستغلها أحد، أو يُوجهها لمصلحة ما، أو يستخدمها عصا لضرب الآخر!، والعمل على إجهاض المؤامرة التي تُحاك ضد الشعوب العربية الإسلامية، التي هي على ملة النَّبيِّ إبراهيم، **بمراحلها التاريخية الثلاث المتكاملة، أتباع النَّبيِّ موسى، وأتباع النَّبيِّ عيسى، وأتباع النَّبيِّ محمَّد (المسلمون)** في سبيل ذلك وجب الكفُّ عن تعبئة الأمة وشحنها، ورفع قانون الطوارئ عنها.

ونفي القبلة الثانية عن المسجد الأقصى الحالي، لا يُقلل من قيمة النضال، والمقاومة لتحرير الأرض والإنسان من الكيان اليهودي الغاصب، فالمعركة قائمة بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، والقيمة للإنسان، المتمثلة بحريته وكرامته.

ومعركتنا الضارية ضد النهج اليهودي الغاشم لن تنتهي بتحرير فلسطين، إذ يقع على عاتقنا نحن، وشرفاء بني الإنسان أن ننقذ الإنسانية من براثن اليهود المميتة.

فاليهودي بمعيارنا كما أسلفت، هو الكائن الذي تجرع ذيفان الحقد والأذية، فوجب استئصال ورمه الخبيث أينما كان، وأداة الصراع الحجة والمنطق والبرهان، وميدان الصراع هائل الاتساع فأينما اتجهت سيجبرك الحضور اليهودي بظلام ليله العتيم المناهض لنور النهار البهي. فيوجد مسلم يهودي، ومسيحي يهودي، وملحد يهودي، وبوذي يهودي...، والمعركة مستمرة حتى ينبلج فجر نصر الفكر المستنير الحنيف.

خطاب (يا بني إسرائيل) في القرءان للعرب

إسرائيل لقب أُطلق على رجل باحث عن الحقيقة، وصل إلى مفهوم أحدية الله، وتوجه بالعبادة له، ورزقه الله ذرية عظيمة، استمرت في التكاثر عبر القرون بجانب ذرية إبراهيم وتداخلت الذُّرِّيتان، مع احتفاظ ذرية إبراهيم بالنُّبوَّة، وصفة المُلك، فكان أنبياء بني إسرائيل، ومُعظم مُلوكهم، من ذرية يعقوب بن إسحاق، فذرية إسرائيل، وذرية يعقوب، وإسماعيل، ونوح، استولدت بينها أرومة القبائل التي سكنت المنطقة العربية، قال تعالى:

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ (مريم ٥٨).

وذرية إسرائيل كانت أكثرهم نفراً، وعدداً، فشكلت البنية التحتية لتجمعات القبائل، وبقيت ذرية يعقوب محتفظة بمقام النُّبوَّة خاصة، والملك غالباً على بني إسرائيل، ومن هذا الوجه أتى الخطاب في القرءان موجهاً إلى البنية التحتية، التي تشكل الأكثرية.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾ (البقرة ٤٧) وقال: ﴿إِنَّ هَذَا القرءان يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النمل ٧٦)، وهذه الآية صريحة في توجيه الخطاب لبني إسرائيل، وهي من سورة النمل، التي ذكر المفسرون أنها نزلت في مكة، **فهل كان اليهود، أو أهل الكتاب موجودين في مكة؟**

ما يدل على أن قريشاً – وهي وصف لمختلف قبائل مكة– هم من بني إسرائيل في غالبيتهم، بجانب وجود ذرية نوح، وإسماعيل، ويعقوب، فيهم، اقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (السجدة

٢٣)، وهذه الآية من سورة السجدة وهي مكية أيضاً، تخاطب النَّبيَّ محمَّداً ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾، وضمير (الهاء) في كلمة (لقائه) يعود إلى الله، وتتمة الآية ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وضمير (الهاء) في كلمة (جعلناه) يعود إلى أول سورة السجدة في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ العَالَمِينَ﴾ (السجدة ٢) وبالتالي، بنو إسرائيل هم من قوم النَّبيِّ محمَّد في مكة وجوارها، وهذا سبب امتلاء الخطاب القرءاني بكلمة ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، لأنها تربط ماضي بني إسرائيل بحاضرهم، **وبنو إسرائيل هم أرومة القبائل العربية بجانب ذرية نوح وإبراهيم.**

والقوم الذين حافظوا على صفة بني إسرائيل، هم سكان المنطقة فقط، أما في غيرها فقد اختلطت الذُّرِّيات ببعضها، وظهرت العجمة في اللسان، بخلاف لسان بني إسرائيل في المنطقة العربية، فقد حافظ على عربية اللسان، وذلك بمجموعهم، وليس ببعض قبائلهم، ومن هذا الوجه نزل القرءان عربي اللسان متجاوزاً لسان قريش، إلى اللسان العربي المستخدم في مجموع القبائل، والمجتمعات على مختلف مستوياتها المعرفية، لذا، نجد في النَّصِّ القرءاني كلمات تدل على المدَنيّة والرُّقي، وأخرى تدل على بداية نشأة اللسان، فاحتوى ألفاظاً ثنائية، وأخرى ثلاثية، ورباعية، وخماسية، واستخدم أسلوب الدمج بين كلمتين، وربط خطابه بمحلِّه من الواقع، ليصير المبنى صورة صوتية فيزيائية للمعنى، وبذلك كان القرءان نصّاً إنسانياً علمياً يخاطب الناس جميعاً.

فالخطاب في القرءان لبني إسرائيل، خطاب **لأصل الناس خاصة، والناس عامة، مثله في ذلك مثل خطاب (يا بني آدم)، والشعوب في هذه المنطقة المعروفة باسم الشعوب العربية هي أصل الناس، وهم بنو إسرائيل ومازالوا مستمرين في الحياة لم يُبادوا، ويحتضنون في داخلهم ذرية إسماعيل، وذرية يعقوب، ونوح، ليشكلوا مع بعضهم المجتمعات العربية**؛ ما يؤكد أن آباءنا، هم، آدم المصطفى، ونوح، وإبراهيم، وإسرائيل، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وعيسى إلى أن خُتموا بالنَّبيِّ محمَّد، **وهذا يُفسر دلالة التفضيل لبني إسرائيل على العالمين، فهم يعيشون تجمعات وقبائل، تقودهم الأنبياء والرسل أئمة الهدى في تاريخ الإنسانية.**

أما اليهود، فهم كل من كفر من بني إسرائيل، أو غيرهم، وارتضى منهج التَّهود، ورفض منهج الأنبياء والرسل.

لذا، **ينبغي ضبط مفهوم بني إسرائيل، واستخدامه بصورة صائبة، وعدم السماح لليهود باستخدامه،** وذلك من خلال كشف مؤامرتهم الدنيئة حيث زَوّروا حقائق التاريخ، وانتحلوا شخصية بني إسرائيل.

هلاك المجتمع
أمر مرتهن بظاهرة الفساد والظلم

وبهذا العرض يزول الاستغراب والتساؤل الكامن في أنفسنا مع غصَّة منذ زمن بعيد! وهو، **لماذا فضل الله بني إسرائيل على العالمين؟** ولماذا امتلأ النَّصُّ القرءاني بأخبارهم؟ ولماذا توجَّه الخطاب لهم مباشرة (يا بني إسرائيل) ؟ وكنا نظن أن بني إسرائيل هم اليهود، فَنُصاب بالحيرة، ونُخفي غَيظنا!، ولكن بعد أن عرفنا الحقيقة، **وأننا نحن بنو إسرائيل، ونحن المعنيون بالتفضيل، زال العجب والاستغراب، وتغيَّرت دراستنا ونظرتنا للنص القرءاني، وعرفنا أمراً على درجة من الخطورة،** وهو قوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾ (الإسراء: ٤ – ٨).

وبسبب الظلم والفساد المشاهد في بلاد الشام الكبرى واليمن الكبرى ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ نابنا عذاب الله الشديد، فسلَّط علينا عباداً له (الرومان، والفرس، والمغول، والتتار، ثم الصليبيين، ثم بريطانيا وفرنسا، ثم أمريكا واليهود)، ﴿فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ فاغتصبوا الأرض، وسرقوا ثروات الوطن، وخربوا مقومات المجتمع، وقوَّضوا البنية التحتية، واستعبدوا الناس... إلخ.

انظر إلى الكوارث التي نزلت بفلسطين، والعراق، ولبنان، والسودان، والصومال، والأحواز وأفغانستان، وموريتانيا... إلخ، وإن بقيت الدول الأخرى على فسادها وعُلوِّها في الأرض، فسوف يشملها القانون الإلهي في تغيير المجتمعات، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً﴾.

والعباد المعنيُّون ليس بالضرورة أن يكونوا صالحين، فلا أمريكا، ولا المغول، ولا اليهود من الصلاح في شيء.

لذا، أقول: يا بني إسرائيل (العرب) شعباً وسلطة، (وهذا ينطبق على كل شعب) عودوا إلى دراسة تاريخكم على ضوء القرءان، واعلموا أنكم أنتم محل خطاب التفضيل في النَّصِّ القرءاني، وأنتم محل خطاب التهديد والوعيد، والأمر بيدكم إن اخترتم العُلُوَّ في الأرض، والفساد على صعيد البيئة والإنسان، فمصيركم الهلاك لا محالة، وسوف يتأذى المجتمع كله بشيوخه ورجاله ونسائه وشبابه وأطفاله، وإن اخترتم العدل والصلاح على صعيد البيئة والإنسان فسوف تنجون، وينجو المجتمع كله، فهل أنتم مستجيبون !.

وأقول لكم كما قال الله تعالى على لسان نبيه شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ (هود ٨٩).

وما فلسطين أو العراق أو سورية أو لبنان أو السودان أو أفغانستان. (منكُم بِبَعِيدٍ). !.

مفهوم العام والسنة والحول
وتحديد لبوث النَّبيِّ نوح في قومه

بداية لا شك أن كل كلمة لها مفهوم مختلف عن الأخرى، مصداق القاعدة التي تقول: (إذا اختلف المبنى اختلف المعنى) رغم وجود علاقات أو تداخل بينها بشكل جزئيٍّ، وهذا من الإحكام القرءاني، لأنه نزل بلسان عربي مبين من لدن عليم حكيم.

مفهوم كلمة (العام)

من خلال تدبر النصوص المتعلقة بكلمة (عام) لاحظت أنه متعلق بوحدة زمنية فقط لا علاقة له بالأحداث، لنقرأ ذلك في قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِـي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ **مِئَةَ عَامٍ** ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ **مِئَةَ عَامٍ**﴾ (البقرة ٢٥٩).

فكلمة (عام) هي تعبير عن وحدة زمنية فقط لا علاقة لها بالأحداث وما يجري في الواقع، ولنتابع ذلك،﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي **عَامَيْنِ** أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان ١٤)، والنَّصُّ يحدد أن الفصال يكون نهاية العام الثاني، وأي رضاعة بعد بلوغه العام الثاني لا يعتدُّ بها، ولا قيمة لها ولا يترتب عليها أي شيء من الأحكام، ولنتابع ضبط مفهوم العام في النصوص الأخرى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً**﴾ (الأحقاف ١٥)، وجملة (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً) مع جملة (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) يقرر القرءان أن أقصر مدة للحمل في الواقع هي ستة أشهر، وهذا مستفاد من الفرق الزمني بين ثلاثين شهراً التي هي فترة الحمل والفصال معاً، وفترة العامين (أربع وعشرين شهراً) فترة

الفصال كحد أقصى للرضاعة، التي يترتب عليها أحكام شرعية وهي المهمة في بنية جسم الرضيع.

ومدة العام زمنياً كما أتى في النَّصِّ القرءاني: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (التوبة ٣٦).

وإذا قاطعنا نص (وَفِصَالُهُ فِي **عَامَيْنِ**) مع نص ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ **حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة ٢٣٣)، وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس كلمة (حول) الحاء والواو واللام أصلٌ واحد، وهو تحرُّكٌ في دَوْرٍ. فالحول العام، وذلك أنه يحول، أي: يدور.

نصل إلى أن العام هو حول كامل، وهذا يدل على وجود حول غير كامل متعلِّق بالفصول والمواسم وينطبق عليهم اسم الحول لساناً، ومن خلال ذلك المفهوم نصل إلى أن مدة الحول في نصِّ الوصية للمرأة المتوفَّى زوجها:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة ٢٤٠)، كونها أتت دون تحديد بحول كامل أو غير كامل؛ ما يعني عموم الدلالة، وهذا يعني أن الحد الأدنى هو حول ناقص، المتمثل بعدة الوفاة ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة ٢٣٤)، والحد الأقصى هو حول كامل متمثل بالعام، وهذا حق للزوجة في بيت زوجها المتوفَّى، ولا يجوز إخراجها إلا برضاها، وذلك حتى تدبر أمور معيشتها وحياتها.

وعلى هذا النَّمط أتت النصوص كلها تستخدم كلمة (العام) كوحدة زمنية مجردة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة ٢٨).

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ (التوبة ٣٧).

﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (التوبة ١٢٦).

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف ٤٩).

مفهوم السَّنة

كلمة السَّنة في القرءان تأتي متعلِّقة بحدث ضمن العام، لنقرأ:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف ١٣٠).

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف ٤٧).

﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (الشعراء ٢٠٥).

كما أن كلمة (العدد) تتعلق بالسنين ولا تتعلق بالعام، ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾ (الكهف ١١).

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس ٥).

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (المؤمنون ١١٢).

وكلمة (عدد) هي حالة إحصائية متعلِّقة بالشيء، لنقرأ:

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾ (مريم ٩٤).

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً﴾ (الجن ٢٤).

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ (الجن ٢٨).

بينما كلمة (الحساب) هي حالة تجريدية، لنقرأ:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر ١٠).

فكل عملية عدٍّ هي حسابية، وليس كل عملية حسابية هي عدٌّ، بمعنى العملية الحسابية متعلقة بالتعامل مع الأرقام فقط دون تعلقها بالشيء، أما العد والتعداد هو تعلق الأرقام بالشيء، فنقول مثلاً: أعط زيداً عشرة دنانير وثمانية دراهم، وهذا يقتضي منا أن نعد الدنانير والدراهم، بينما لو قلنا: أعطه بغير حساب، فهذا يعني: نفي العد كله من أصله، فالعد متعلق بالشيء، والحساب تجريدي متعلق بالأرقام فقط، وهذا يوصلنا إلى أن السنة كونها معدودة فيعني أنها متعلقة بالحدث بخلاف العام فهو متعلق بالحساب، فمثلاً نقول: احسب عمرك بالأعوام وعد السنين.

وعودٌ للنص: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس ٥).

نلاحظ أن القمر يتم حركته حول الأرض بوحدة زمنية تسمَّى شهراً، ومجموع هذه الحركات الشهرية هي منازل القمر التي تشكل عدد السنين ضمن العام، وهذا يعني: أن العام يحتوي في داخله مجموعة من السنين، والسنين هي أحداث أو أحوال بيئية يجري فيها أعمال بشرية من زراعة وغيره.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف ١٣٠).

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف ٤٧).

﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (الشعراء ٢٠٥).

وتحدد مدة السنة بالفترة الزمنية التي يستغرقها الشيء المزروع محل الكلام، فمثلاً في نص رؤيا الملك في قصة النَّبيِّ يوسف محل تعلق السنة هو زراعة القمح، والقمح يزرع مرة واحدة في العام في بلاد، ومرتين في العام في بلاد أخرى، وبناء عليها يتم تدبر رؤيا الملك، ومعرفة البلد التي كان يسكنها الملك وأقام فيها النَّبيُّ يوسف وجلب أهله إليها، ولنعتمد

حالياً أن بلاد الملك يزرع القمح فيها مرتين بالعام، فهذا يعني أن كل سنتين يشكلان عاماً واحداً في نصوص قصة النَّبيِّ يوسف، وهذا يعني أن عدد السنوات الأربع عشرة هي سبعة أعوام فقط، وبناء عليها يكون عدد سنوات سجن النَّبيِّ يوسف ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف ٤٢)، والبضع هو من ثلاثة إلى تسعة، الحد الأدنى (ثلاث سنوات) عام ونصف، والحد الأقصى (تسع سنوات) أربعة أعوام ونصف.

وبناء على هذا المفهوم للسنة والعام نفهم هذه النصوص:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة ٢٦).

أربعين سنة تساوي عشرين عاماً.

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف ١٥).

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص ١٤).

أربعين سنة تعني: عشرين عاماً وعندها يبلغ الإنسان أشده.

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة ٥).

ألف سنة مما نعد هي خمسمئة عام.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ٩٦).

ألف سنة تعني خمسمئة عام.

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الروم ٢-٤).

بضع سنين الحد الأدنى عام ونصف، والحد الأقصى أربعة أعوام ونصف.

وصلنا الآن إلى تدبر نص ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت ١٤).

الملاحظ أن المكان الذي يقيم فيه قوم النَّبيِّ نوح هو مكان يمكن حصول الطوفان فيه، وهو نتيجة نزول أمطار غزيرة وسيولها من على الجبال وهم في وادٍ ومجرىً لهذه السيول، وهذا يعني أن الأرض خصبة جداً للزراعة، وهذا يفيد في احتمال أن يكون العام فيه بضع سنوات زراعية وليس اثنين فقط.

وإن افترضنا أنهم يزرعون القمح مرتين في العام، فهذا يعني أن النَّبيَّ نوح لبث في قومه:

١٠٠٠÷٢ -٥٠ =٤٥٠ عاماً.

وإن افترضنا أنهم يزرعون شيئاً آخر فيكون العام أربع سنوات (مواسم زراعة) فهذا يعني أنه لبث في قومه:

١٠٠٠ ÷ ٤ -٥٠ = ٢٠٠ عام.

وطبعاً عمر النَّبيِّ نوح يناسب عمر قومه فهو رسول لهم وليس للأجيال اللاحقة !

طوفان النَّبيِّ نوح عام أم خاص

هل حمل النَّبيِّ نوح في فُلكه بهائم أم بشر فقط

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (المؤمنون ٢٧).

﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (هود ٤٠).

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ (القمر ١٣).

نلاحظ أن الذين ركبوا مع النَّبيِّ النوح ثلاثة عناصر وهم:

- مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ.
- وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ.
- وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ.

كلمة زوج تطلق على الواحد الذي له مثيل من جنسه مختلف عنه في النوع يشكلان مع بعضهما توليفة وانسجام وتكامل وظيفي، ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة ٣٥) مثل الذكر والأنثى فهما زوجان، لنقرأ كيف أتى استخدام كلمة الزوجين في القرءان:

الزوجان: الذكر والأنثى ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (النجم ٤٥).

الأزواج: كلها عموماً دون استثناء ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ (الزخرف ١٢).

زوجان: من الثمرات ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد ٣).

زوجان: من الحيوانات ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأنعام ١٤٣).

وعندما تأت كلمة الزوجين عامة دون تحديد بالنَّصِّ تفهم حسب السياق ومحل الخطاب، فهو قرينة على مفهومها، هل يبقى على عموم الخلق للأزواج كلها أم يحدد بجنس من النبات أم من الحيوان أم من الإنسان.

وفي النَّصِّ المعني بالدراسة محور الحدث هو نجاة الناس من الغرق من خلال حملهم على ألواح ودسر، وهي مركب بدائي اسمه طَوف مصنوع من خلال رص وضم جذوع الشجر المشروح طولياً لبعضه ليشكل سطحاً مستوياً وربط جذوع الشجر بواسطة الدسر وهي ألياف نباتية، ولم يكن علم صنع المراكب بالشكل الحالي كسفينة حينئذ معلوم.

وهذا يدل على أن إمكانية الحمل محدودة، ولا يمكن أن يُحمل أي حيوانات على هذا الطَّوف مع البشر، والأولوية لتحميل البشر وإنقاذهم، وهذا قرينة قوية على نفي وجود الحيوانات في عملية الإنقاذ، وخاصة نفي ذكرهم في النَّصِّ صراحة؛ ما يؤكد أن كلمة الزوجين في النَّصِّ متعلِّقة بالبشر وليس بالحيوانات.

وعندما أتت كلمة اثنين بعد الزوجين دلَّ على أن المطلوب هو أربعة أزواج بمعنى أربعة عناصر مختلفة بالنوع، ولكن يوجد علاقة زوجية بينهما، يعني: صار رجلين وامرأتين المجموع هو زوجان اثنان.

وفي الواقع هو اختيار من كل جماعة من قوم النَّبيِّ نوح الذين لم يؤمنوا معه، ولم يعادوه ويصيروا كفاراً ظالمين زوجين اثنين بمعنى أربعة أشخاص (ذكرين وأنثيين) من كل جماعة،

وليس المطلوب أربعة عناصر فقط، لنقرأ:

﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (الرعد ٣)، لا يعني: أن الله خلق أربعة عناصر زوجية من الثمار فقط، وإنما يعني: أن الله خلق من كل جنس من الثمار زوجين اثنين بمعنى نوعين مؤلَّفين من زوجين، والحاصل هو أربعة أزواج كعناصر في النوع الواحد.

هذا احتمال، والآخر هو أن كلمة زوجين (الرجل والمرأة) تعني: الأسرة في الواقع، والمطلوب هو اثنان من كل أسرة بصرف النظر عن نوعهما، فالعنصر الأول انتقائي، لأنهم لم يؤمنوا بالنَّبيِّ نوح أصلاً، فليس لهم أولوية ولا تحديد وهم من عامة القوم الذين لم يحاربوا النَّبيَّ نوح، وإنما اكتفوا بالحضور السلبي، ولم يتحولوا لكفار معادين، فطلب الله منه اختيار من كل زوجين اثنين وَفق المعنى الذي ذكرته آنفاً، ولا علاقة للبهائم في النَّصِّ قط، فهي عنصر مقحم إقحاماً بالحدث نتيجة التأثر بتفسير اليهود لقصة طوفان النَّبيِّ نوح.

وهذا تدبر منطقي واقعي بما يتناسب مع الفلك المصنوعة من ألواح ودسر التي لا تكاد تكفي الناس، حتى يحمل معهم البهائم، أياً كان نوعهم ولو كانت الحيوانات المدجنة، فالنَّصُّ لم يذكر البهائم قط، وهم ليسوا محلاً للنجاة.

ولا شك أن الطوفان كان محلياً لم يتجاوز أرض قوم النَّبيِّ نوح لنقرأ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (الفرقان ٣٧).

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ (نوح ٢٦).

وكلمة الأرض في القرءان تأتي بمعنى الكوكب الأرضي كله، وربما غيره مما لا نعلم، وتأتي بمعنى جزء من الأرض غير محدد، والسياق هو الذي يحدد المعنى.

مثلاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾ (النساء ٩٧).

الاستضعاف لهم كان في جزء من الأرض، ويوجد أرض أخرى متاح للعيش فيها بحرية وكرامة ينبغي الهجرة لها.

وكون العقوبة خاصة لقوم النَّبيِّ نوح، فمن الطبيعي أن يكون الطوفان خاصاً بأرضهم والغرق لهم فقط، وهذا مقتضى الحكمة والرحمة الإلهية، ودعاء النَّبيِّ نوح على قومه الكافرين وأن لا ينجوَ منهم أحد حتى لا يعود لكفره وعدوانه، لأنهم أخذوا عدة فرص واستنفدوها كلها وأصروا على الكفر واستكبروا استكباراً.

هل خَلْقُ المسيح من أنثى دون ذكر كان خارجَ السنن الإلهية

التكاثر في الكائنات الحية مهما تدنت في وجودها البدائي (وحيد الخلية) لا بُدَّ أن يكون من خلال قانون التفاعل الزوجي في بنية نظامها الداخلي، وهذا قانون ثابت لا يوجد له استثناء.

فالكائن وحيد الخلية يتكاثر عن طريق الانقسام الثنائي البسيط حيث تنقسم النواة ثنائياً، ثم تنقسم السيتوبلازما إلى قسمين يحوي كل منهما نواة فيكون عضواً جديداً.

لذا، التكاثر للكائنات الحية لها طرائق وأنواع متعددة، وكون الكائنات الثدييات تتكاثر من طريق اللقاح الزوجي الذكر والأنثى، وهذا ما ألفناه وثابت في الحالة الطبيعية لا ينفي طرق التكاثر الأخرى الممكنة، ولو كحالة نادرة أو نسبية الحصول، وهذا لا يعني نقضاً لقانون التكاثر الزوجي بطريقة اللقاح بالماء المَهين وإنما يعني: الانتقال إلى طريقة أخرى للتكاثر هي أيضاً قانون في التكاثر وسنة من سنن الله في الوجود لم يخرج عن سنة التكاثر عموماً، وولادة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من أنثى دون ذكر هي إحدى الطرائق للتكاثر وَفق سنن الله، والخالق فعَّال لما يريد في حال أراد أن يخلق كائناً متميزاً عن سائر الخلق بطريقة ولادته ونشأته وَفق السنن التي استخدمها في الخلق والتكاثر للكائنات الحية ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الفتح ٢٣)، فالخالق لم يبدل سنته أو غيرها أو ألغاها، وإنما انتقل من سنة تكاثر إلى سنة تكاثر أخرى غير مألوفة للناس، وليس هي السائدة في تكاثرهم، وكلا الطريقتين من سنة الله في التكاثر، لذلك لا قيمة لمن ينكر ذلك، ويدَّعي أن المسيح وُجد من طريق لقاح ذكر مجهول، واختفى من الحياة أو ذكر

معلوم، لأنه لم يستوعب أن يوجد تكاثر عن غير طريق لقاء الزوجين الذكر والأنثى، وعَدَّ القول بذلك خروجاً عن سنة الله في الخلق والتكاثر.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران ٥٩).

لنقرأ شيئاً مختصراً عن طرق التكاثر للكائنات الحية لتتوضح الفكرة، وأن الله لم يخرج عن سنة الخلق والتكاثر عموماً في ولادة المسيح من أنثى دون ذكر.

التكاثر اللاجنسي

١. يقوم به فرد أبوي واحد حيث يتضمن انفصال جزء من الجسم سواء كان خلية جرثومية واحدة أو جملة خلايا أو أنسجة ونموها إلى فرد جديد، ولا تلعب الأمشاج أي دور فيه.

٢. الأفراد الناتجة تشبه الفرد الأبوي تماماً.

٣. صفات الأجيال الناتجة تبقى دون تغير، إن تغيرت البيئة؛ ما يؤدي إلى هلاك الأبناء إذا لم تكن الآباء قد تأقلمت على ذلك التغير.

٤. شائع في عالم النبات، ولكنه يقتصر على الأنواع البدائية من عالم الحيوان.

٥. يستغرق وقت قليل ولا يحتاج إلى طاقة كبيرة.

٦. جميع أفراد النوع تنجب.

٧. أهم مميزاته هـــــو سرعة التكاثر.

٨. يعتمد على الانقسام الميتوزي لخلايا الكائن الحي، حيث يكون عدد الصبغيات في خلايا الأفراد الجديدة هو نفس عدد الصبغيات في خلايا الكائن الأصلي.

صور التكاثر اللاجنسى

١. الانشطار الثنائي:

أ. الأوليات الحيوانية كالأميبا والبرامسيوم.

ب. النباتات البدائية مثل الطحالب البسيطة والبكتريا.

خطواته

أ. تنقسم النواة ميتوزياً.

ب. تنشطر الخلية التي تمثل جسم الكائن الحي إلى خليتين يصبح كل منهما فرداً جديداً.

مثال الانشطار في الأميبا

١. **انشطار بسيط** يحدث فى الظروف المناسبة

- عندما تصل الأميبا لحجم معين تنقسم النواة ميتوزياً في خلال نصف ساعة.
- يختصر السيتوبلازما لإنتاج فردين صغيرين يبدأ كل منهما في التغذية والنمو.
- يتكرر ذلك كل ٢، ٣ أيام في الظروف العادية.

٢. **انشطار معقَّد يحدث في الظروف غير المناسبة.**

- حيث تفرز الأميبا حول نفسها غلاف كيتيني للحماية، وعادة تنقسم بداخله عدة مرات بالانشطار المتكرر لتنتج العديد من الأميبات الصغيرة التي تتحرر من الحوصلة عند تحسن الظروف.

٢. التبرعم:

١. **في الكائنات وحيدة الخلية مثل (الخميرة)**

- ينشأ البرعم كبروز جانبي على الخلية الأصلية.
- تنقسم النواة ميتوزياً إلى نواتين تبقى إحداهما في الخلية الأصلية بينما تتحرك الثانية إلى البروز الذي ينمو تدريجياً إلى برعم.

- قد يبقى البرعم متصلاً بالخلية الأم حتى يكتمل نموه، فينفصل عنها أو يبقى متصلاً بها مكوناً مع غيره من البراعم سلاسل صغيرة تسمَّى مستعمراتٍ خلويةً.

٢. في الكائنات عديدة الخلايا مثل (الإسفنج، الهيدرا)

- ينمو البرعم على شكل بروز صغير على جانبي الجسم نتيجة انقسام الخلايا البينية وتميزها إلى برعم ينمو البرعم تدريجياً ليشبه الأم تماماً، عادة ينفصل البرعم عن الأم ليبدأ حياة مستقلة.

٣. التجدد:

- هــو قدرة كثير من الكائنات على تعويض الأجزاء المفقودة من الجسم نتيجة تعرضها لحادث.
- في بعض الحيوانات عندما يقطع الجسم إلى عدة أجزاء، فإن كل جزء منها ينمو إلى فرد جديد يحمل صفات الأب نفسها.

لذا، فالتجدد طريقة من طرق التكاثر اللاجنسي.

ملحوظة: القدرة على التجدد تقل برقي الحيوان.

أمثلة على التجدد:

١. في بعض القشريات والبرمائيات يقتصر على استعاضة الأجزاء المفقودة فقط.

٢. في الفقاريات العليا لا يتجاوز التجدد فيها عملية الْتئام الجروح، خاصة إذا كانت محدودة في الجلد والأوعية الدموية والعضلات.

٣. في ديدان البلاناريا (مفلطحة تعيش فى الماء العذب) تعتبر طريقة من طرق التكاثر اللا جنسي.

٤. التجدد فى الهيدرا: إذا قطعت إلى عدة أجزاء، وفي أي مستوى، فإن كل جزء ينمو إلى فرد جديد، وهذا يعتبر تكاثراً.

٥. في نجم البحر (من الجلد شوكيات)

وهو يتغذَّى على عشر محارات يومياً من التي تنتج اللؤلؤ.

فكان مربُّو المحار يقاومون نجم البحر بجمعه وتمزيقه إلى أجزاء ويلقونها على الشاطئ، فكان كل ذراع مع قطعة من القرص الوسطى ينمو إلى حيوان كامل، فتتكون أعداد هائلة تهاجم مزارع اللؤلؤ.

وبعد أن عرف مربُّو المحار قدرة نجم البحر على التجدد، فإنهم أصبحوا يحرقونه على الشاطئ.

ملحوظة: (الإسفنج والهيدرا لهما القدرة على التجدد كما يتكاثران جنسياً).

٤. التكاثر بالجراثيم:

كما في الفطريات مثل: (عفن الخبز وعيش الغراب) وبعض الطحالب.

وبعض النباتات المتقدمة كالسراخس تتكاثر بالجراثيم، ثم بالأمشاج (ظاهرة تعاقب الأجيال).

الجراثيم: هي خلايا لها أغلفة واقية تمكِّنها من الحماية والانتشار متحورة مباشرة للنمو.

تركيب الجرثومة: تتركب من: خلية واحدة تحتوي على سيتوبلازما بها كمية ضئيلة من الماء ونواة، ويحيط بها جدار سميك.

١. عند نضج الجرثومة تتحرر من النبات الأم وتنتشر في الهواء.
٢. إذا وصلت الجرثومة إلى وسط مناسب للنمو (تربة رطبة) يتشقق جدارها وتمتص الماء، وتنقسم عدة مرات حتى تنمو إلى فرد جديد.

مميزات التكاثر بالجراثيم:

١. سرعة التكاثر.
٢. تحمل ظروف البيئة القاسية.
٣. الانتشار لمسافات بعيدة.

٥. التوالد البكري:

هــو قدرة البويضة غير المخصبة على الانقسام والنمو لتكوين فرد جديد ويعدُّ نوعاً خاصاً من التكاثر اللاجنسي، لأن الأمشاج تلعب دوراً فيه، حيث تنتج الأبناء من أب واحد فيكون مطابقاً تماماً.

أنواعه:

أ. توالد بكري طبيعي، مثل:

١. في نحل العسل حيث تنتج الملكة بيضاً ينمو من دون إخصاب لتكوين ذكور (ن)، وبيضاً ينمو بعد الإخصاب لتكوين الملكات والشغالات (٢ن) حسب نوع الغذاء. (الذكر) (ن) صبغي.

٢. في حشرة المن تتكون البويضات من انقسام ميتوزي تنمو إلى أفراد (٢ن) صبغي.

٣. بعض القشريات تتبادل أجيالها التكاثر البكري مع التكاثر الجنسي حسب فصول السنة.

٤. فى بعض الحالات تتكون البيضة من اندماج خلية البويضة مع نواة جسم قطبي أو تتناسخ صبغياتها دون انقسام الخلية فتصير (٢ن) صبغي.

ب. توالد بكرى صنـاعي:

١. في نجم البحر والضفدعة أمكن تنشيط البويضات صناعياً بتعريضها لصدمة (حرارية أو كهربية أو الإشعاع أو لبعض الأملاح أو الرجِّ أو الوخز بالإبر) فتتضاعف صبغياتها دون إخصاب مكونة أفراد تشبه الأم تماماً.

٢. في الأرانب أمكن تكوين أجنة مبكرة من بويضاتها باستخدام منشطات مماثلة.

٦. زراعة الأنسجة:

تعريف: يقصد بها زراعة الأنسجة النباتية والحيوانية وإنمائها في وسط غذائي شبه طبيعي، ثم متابعة تميزها لإنتاج أفراد كاملة.

أمثلة:

١. **نبات الجزر:**

- فصل أحد العلماء أجزاء صغيرة من نبات الجزر فى مخاريط زجاجية بها لبن جوز الهند.
- نمت هذه الأجزاء وتميزت إلى نبات جزر كامل.
- تم فصل خلايا منفردة من نفس النبات، وزرعت بنفس الطريقة فحصلنا منها على نبات كامل.

٢. **الطباق:** فصلت خلية واحدة من ساق نبات الطباق، وزرعت بنفس الطريقة، فحصلنا على نبات طباق كامل.

أهمية زراعة الأنسجة:

١. أكدت هذه التقنية الحديثة أن أي خلية جسمية بها معلومات وراثية كاملة يمكن أن تترجم إلى نبات كامل لو زرعت في وسط غذائي مناسب.
٢. تستخدم في إكثار نباتات نادرة، أو ذات سلالات ممتازة أو أكثر مقاومة للأمراض.
٣. أمكن حفظ الأنسجة المختارة للزراعة في نيتروجين سائل لتبريدها لمدة طويلة مع الإبقاء على حيويتها لحين زراعتها.
٤. يعلق العلماء على زراعة الأنسجة آمالاً كبيرة لحل مشاكل الغذاء، واختصار الوقت اللازم لنمو المحاصيل.

الأساس العلمي لزراعة الأنسجة: هي إمكانية ترجمة المادة الوراثية في الخلايا الجسدية بوضعها في وسط غذائي مناسب لتكوين فرد جديد.

نقاط للنقاش لمن يقول بوجود والدٍ للمسيح وزوجٍ للسيدة مريم

١. أوصى الله الإنسان ببر الوالدين والشكر لهما﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان ١٤).

لماذا لم يذكر المسيح والده، وأنه بارٌّ به ويشكره، واكتفى بذكر والدته؟

﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ (مريم ٣٢).

٢. ماذا لم تأت البشرى لوالده أيضاً؟

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران ٤٥).

٣. لماذا ذُكرتْ مريمُ والدةُ المسيح، وغاب ذِكرُ والدِ المسيح تماماً في كل الكتب الإلهية؟

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران ٣٧).

٤. لماذا نسب المسيح لأمه مريم، ولم ينسب لوالده إن كان موجوداً؟

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة ٧٨).

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(المائدة ١٧).

٥. لماذا لم يُنعم الله على والد عيسى ابن مريم إن كان موجوداً؟

﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ (المائدة ١١٠).

٦. عندما جاءت مريم تحمل المسيح، لماذا لم يأت معها والده ويساعدها في محنتها ويجابه قومها؟

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾ (مريم ٢٧).

٧. إن كان والد المسيح معروفاً وموجوداً، لماذا استنكر قوم مريم ولادتها؟

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾ (مريم ٢٧).

٨. لماذا حزنت السيدة مريم من ولادتها وتمنَّت الموت قبل الولادة طالما أن ولادتها طبيعية، ولها زوج هو والد المسيح؟

﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً﴾ (مريم ٢٣).

٩. لماذا ذكر الله أن خلق المسيح كمثل خلق آدم؟

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ آل (عمران ٥٩).

١٠. إذا كانت ولادة المسيح حدثاً عادياً من والدين نتيجة زواج ولقاح مثل ولادة أي إنسان، لماذا ذكر الله القصة لنا في القرءان؟

قاعدة مهمة لتدبر القرءان ولادة المسيح نموذجاً

حوار افتراضي لتبيين قاعدة منهجية في تدبُّر مواضيع القرءان، كيف تتم من خلال توليف نصوص القرءان مع بعضها، ومعالجتها بشكل منسجم ومنطقي وفق منظومة القرءان والواقع.

زيدٌ: هل البغل يتكاثر؟

عمرٌو: هه هه هه هه! منذ وعيت على الحياة الدنيا، وأنا أسمع أن البغل لا نوع له ولا يتكاثر، فهو جنس مهجن من خلال لقاح حمار وأنثى الحصان، ويحضرني طرفة في هذا الصدد، وهي: سألوا البغل من أبوك؟ فقال لهم: خالي حصان!

زيدٌ: لنفترض أن أحدهم ذكر لك: أن البغل يمكن أن يحمل ويلد في حالة نادرة تحدث كل فترة زمنية طويلة ربما لا يعاصرها أجيال بكاملها ولكنها تحدث، ويتناقل الناس هذا الخبر في المجتمع الذي حصلت فيه هذه الحادثة، ولكن لطول الزمن وبُعد الشعوب عن بعضها حينئذ يتم تناسي الأمر، ويعود الناس لتكذيبها وإنكارها، خاصة أنها خلاف المألوف في سنة التكاثر التي تقوم على زواج الذكر والأنثى، فماذا تقول بذلك؟

عمرٌو: طبعاً أرفض تصديق هذا الحدث بناء على العلم أن البغل لا يلد ولا نوع له.

زيدٌ: هل تعلم كل ما حصل في الماضي أو يحصل في الحاضر أو ما سوف يحصل في المستقبل بشكل إحصائي وشمولي، وبالتالي صار عندك معياراً لتحكم بناء عليه على صواب أو خطأ أيِّ خبر جديد، أم علمك نسبيٌّ متنامٍ لا سقف له؟

عمرٌو: سنة الخلق والولادة للكائنات الحية تقوم على الزواج واللقاح بين اثنين (ذكر وأنثى) وهذا يعني أن كل خبر يخالف هذه السنة هو كذب وخرافة.

زيدٌ: وهل أحطت علماً بكل سنن الخلق والولادة أو التكاثر الموجودة في الكون؟

عمرٌو: لم أسمع بحياتي أنه حصل حمل وولادة أو خلق كائن حيٍّ دون علاقة زوجية ولقاح بين ذكر وأنثى؟

زيدٌ: ألم تسمع باستنساخ النعجة «دولي»؟

عمرٌو: سمعت بذلك.

زيدٌ: أليس هذا خلق لكائن حي بسنة غير سنة اللقاح والزواج بين ذكر وأنثى؟

عمرٌو: ولكن لم تنجح العملية ولم تحيَ النعجة طويلاً.

زيدٌ: ليس هذا موضوعنا، المهم نجحت عملية الاستنساخ وتم خلق كائن حي بسنة غير سنة التكاثر المعروفة والسائدة.

عمرٌو: ولكن هذا لا ينقض سنة الحياة في التكاثر من ذكر وأنثى.

زيدٌ: ومن نقض سنة التكاثر الزوجي من ذكر وأنثى أو نفى عنها أنها الأصل والعامة في التكاثر؟ نحن نتكلم عن سنة أخرى ليست عامة ولاسائدة ولا تنفي الأولى، وإنما تعمل ضمنها بشكل نادر لظرف معين ومعطيات واقعية.

عمرٌو: ألا تؤمن بالقرءان أنه كلام الله وهو حقٌّ وصدق؟

زيدٌ: طبعاً أؤمن بالقرءان.

عمرٌو: حَسَنٌ، ورد في القرءان أن خلق الإنسان لا يكون إلا من خلال زواج ذكر وأنثى، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات ١٣)، ويوجد كثير من النصوص التي تثبت هذا الموضوع.

زيدٌ: النَّصُّ يتكلم على عموم خلق الجنس الإنساني، ولم ينفِ حالات نادرة، وهي لندرتها تكون بحكم النفي، ولكن هي موجودة وممكنة ولو كانت نادرة، اسمع الآن تتمة لما بدأت

به حواري معك عن تكاثر البغل فهو يقرب الفكرة كثيراً لك.

حصل الحادث في المغرب بمدينة مراكش.

الطبيب البيطري الذي أشرف على العملية، وفي تصريحه لـ(هسبريس)، أكد أنه «استغرب في البداية لبروز الكيس من الرحم، قبل أن يتبين أن الأمر يتعلق ببقايا مشيمة تضم جنينًا ذَكَرًا، تُوفي قبل مدة داخل رحم البغلة»، مضيفاً أن «وزن الجنين النافق لا يتجاوز كيلو غرامين اثنين، كما أن البغلة تبدو في حالة صحية جيدة»، ومشيراً إلى أن «هذه الحالة تبقى غريبة ونادرة رغم أن مناطق أخرى شهدت نفس الحالة في أوقات سابقة».

جديرٌ بالذكر أن هذه الحالة النادرة أثارت استغراب بعض سكان أولاد أفرج، واعتبرها البعض الآخر «نذيرَ شُؤمٍ وواحدةً من علامات الساعة التي تُعلن اقتراب يوم القيامة»، في حين تعامل معها البقيةُ بنوعٍ من اللامبالاة وعدم التصديق، حيث اعتبروا «حملَ البغلة وولادتَها أمرين مستحيلين، ولا يمكن حدوثهما بأي حال من الأحوال».

http://www. hespress. com/24-heures/250991. html

التحاليل الطبية تثبت ولادة بغلة في المغرب لمهر

لندن: «الشرق الأوسط»

أعلن أطباء بيطريون أن التحاليل الطبية للحامض النووي «دي إن إيه» أثبتت أن بغلة في منطقة أولمس الأمازيغية بجبال الأطلس في المغرب، هي التي أنجبت بالفعل مهراً، تبين أن والده كان حماراً. ويتحدى هذا البرهان العلمي النظريات السائدة التي تقول: إن البغال، التي تولد بتناسل الحمير مع الخيول، تكون عقيمة ولا تلد.

وأظهر المهر خصائص شبيهة بمهر الحمار، وكذلك بمهر البغل، ودلت تركيبته الجينية أن ربعه من الحصان وثلاثة أرباعه من الحمار! ولاقى هذا الإعلان شكوكاً من قبل علماء بريطانيين، إذ صرح جون رايكوك الاختصاصي في تناسل الخيول في كلية الجراحين البيطريين الملكية، أن هذه الولادة مستحيلة، اللهم إلا إذا تم زرع جنين داخل رحم البغلة بنجاح.

وكان فريق من الأطباء البيطريين في جمعية حماية الحيوان في شمال إفريقيا، قد زاروا البغلة التي يبلغ عمرها ١٤ عاماً (انظر «الشرق الأوسط» ٣ أكتوبر ٢٠٠٢)، واستخلصوا عينات من دمها.

ونقل موقع «بي بي سي» الإنكليزي الإنترنتي عن جيجي كاي رئيس الجمعية أن «الاختبارات أكدت أن أم المهر بغلة حقاً، لأن دمها يتكوَّن من مجموعات دم الخيل والحمير... أما دم المهر الوليد فأكدت التحاليل أن أباه حمار، كما انتقلت إليه أيضاً خصائص دم الحمير والخيول من أمه».

http://archive. aawsat. com/details. asp?issueno=8435&article=134634#. V95YxPkrLIU

عمرٌو: ولكن هذه القصة على فرض صحتها تتعلق بالبهائم ولا تشمل الناس.

زيدٌ: أليس الكائن البشري هو من فصيلة الحيوانات الثدييات، وينطبق عليه ما ينطبق عليها خلقاً، وتميَّز عنها بنفخة من الروح فيه فصار إنساناً؟

عمرٌو: ولكن النَّصَّ القرءاني واضح أن الخلق للناس من ذكر وأنثى ولم يَسْتَثْنِ أحداً.

زيدٌ: المشكلة ليست في النَّصِّ فكلانا يعتمد عليه ويؤمن به، المشكلة في طريقة تعاملك مع النَّصِّ بمعزل عن المنظومة القرءانية ككل وعدم إسقاط النَّصِّ على الواقع محلِّ الخطاب، ولبناء مفهوم علمي ينبغي أن تنطلق من الواقع، فمجرَّد حصول الحدث بحد ذاته هو برهان على حصوله، وأن ذلك حصل وفق سنة ضرورة سواء علمتها أو جهلتها، ومهمتك دراسة الحدث، واكتشاف السُّنَّة التي تحكمه وحصل على موجبها، ومن الخطأ أن تغمض عينيك عن الواقع وتبني مفهوماً من أهداب نص لساني بمعزل عن محله من الخطاب، وتجمد على ظاهره بشكل سطحي وتنفي الواقع الذي حصل.

عمرٌو: هَبْ أني وافقت على كلامك، هل ثبت لديك بالخبر القطعي ولادة إنسان دون زواج بين ذكر وأنثى؟

زيدٌ: أحسنت فيما قلت، فلنبحث مع بعض، ونقرأ النَّصَّ القرءاني كونه محل صدق، وثبت لدينا أنه من لدن عزيز حكيم.

اقرأ معي هذه النصوص، وقل لي: ما مفهومها؟

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران ٤٥).

أتت البشرى لمريم ولم تأت لرجل ذكر، كما في نص النَّبيِّ زكريا ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران ٣٩)، والبشرى للرجل تعني ضرورة أن الحمل والولادة يكون لزوجته، وليس له، بينما البشرى للمرأة لكون الحمل والولادة لها.

زيدٌ: كما فهمت حضرتك أن البشرى للرجل تقتضي وجود المرأة كونها محل للحمل والولادة أيضاً، افهمْ أن البشرى للمرأة تقتضي اللقاح من ذكر، فهذه أخت تلك.

عمرٌو: كلامك صواب عموماً، ولا شك أن ولادة المرأة وحدها دون لقاح من ذكر يحتاج لقرينة قطعية تثبت أنها ولدت دون لقاح.

زيدٌ: هل عندك نص قرءاني قطعي الدلالة يثبت أن السيدة مريم ولدت دون لقاح من ذكر؟

عمرو: اقرأ هذا:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران ٤٧).

كلمة (مس) تعني: ممارسة العلاقة الجنسية مع المرأة التي يترتب عليها اللقاح وبالتالي إمكانية الحمل.

والسيدة مريم نفت عنها نفسها المس من أي بشر، ولذلك استغربت هي كيف تحمل، لأنها تعرف أن الحمل والولادة لا يكون إلا من خلال مس للمرأة، كما هو معروف في الواقع، فأتاها الجواب أن الله يخلق ما يشاء بالسنة التي يريدها فهو فعالٌ لما يريد.

وبناء على نفي المسِّ للسيدة مريم من قبل أي رجل، وولدت صارت محل للظن والاتهام، وحزنت السيدة مريم من هذا الحدث، وتمنَّت الموت ﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً﴾ (مريم ٢٣).

وعندما أتت قومها: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾ (مريم ٢٧)، ولو كانت متزوجةً لما استغرب قومها من ولادتها، ولما استنكروا عليها، فالزواج حقُّها الطبيعي.

ولذلك نُسب الولد لأمه (عيسى ابن مريم) تأكيداً لنفي حصول المسِّ وغياب العنصر الذكري من اللقاح.

وكون الأمر كذلك أتى كلام المسيح بذكر والدته بالبِرِّ دون ذكر والده ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ (مريم ٣٢).

وذكر القرءان أن خلق المسيح كخلق آدم ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران ٥٩).

أليس هذه النصوص قطعية الدلالة في ولادة المسيح دون وجود والد ذكري له؟

عمْرو: ربما تعدُّ هذه النصوص قرينة قوية، ولكن مازال في نفسي شيء من المفهوم.

زيدٌ: الحكم للأدلة، وليس للشعور أو الاستغراب النفسي، فهذا يحتاج لوقت ليزول.

هل عرفتم ما هي القاعدة المنهجية؟

- عدم العلم بالشيء لا ينفي وجوده.
- العلم عموماً هو نسبي ولم يصل إلى سقف الأمور.
- حصول الشيء بالواقع هو برهان على وجوده.
- لا يصح تشكيل مفهوم من أهداب نص واحد.
- لا يصح تشكيل مفهوم من ظاهر النَّصِّ بمعزل عن الواقع.

- لا يصح استخدام عموم النصوص لنفي ما يثبت بنصٍّ عيني خاص بالشيء.
- ما ثبت بشكل قطعي الثبوت والدلالة نؤمن به.
- نفي التصور للشيء أو الرغبة والشعور والدهشة ليس برهاناً لإثبات أو نفي شيء.
- سنن الله في الخلق متعددة، ويوجد منها عام ويوجد منها خاص، والله فعالٌ لما يريد.
- يوجد ظواهر أو أحداث تحصل مرة واحدة خلال فترة طويلة من الزمن لا يمكن برهنتها للأجيال اللاحقة إلا بالخبر عنها القطعي.

الفرق بين البحر واليم ونجاة فرعون وغرق جنوده

هذا الموضوع لا علاقة له بالمجاز، وإنما هو من بحث الترادف، وعدم الوصول إلى تحديد الفرق بينهما لا يدلُّ على نفي وجود الفرق بينهما في الدلالة، فما أكثر الأشياء التي يقف عندها العلماء لا يعرفون كيف حصلت، أو ما هو التعليل لها، وهذا ليس بمبرر لرفض نظرياتهم أو معلوماتهم الثابتة بالبرهان.

ومع ذلك انظر إلى النصوص القرءانية. كيف استخدمهما ؟

البحر هو الكائن المتجمع على ذاته مستقراً باتساع كبير ومؤرجح بشدة ومكرر على هذه العملية، ومن هذا الوجه يقال: إن زيداً بحر في العلم.

والبحر في الواقع المادي هو التجمع المائي الكبير المؤرجح بشدة، أي: فيه حركة مكررة، وعلى ذلك تخرج من التعريف البرك المائية الراكدة.

والبحر نوعان: بحر مالح وهو معروف، وبحر عذب وهو الأنهار الكبيرة والبحيرات.

قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ (الفرقان ٥٣).

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (فاطر ١٢).

وانظر كيف وصف الله حادث غرق فرعون وجنوده:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ المُسْلِمِينَ﴾ (يونس ٩٠).

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ البَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ﴾ (الشعراء ٦٣).

ولمعرفة نوع البحر في هذه النصوص: هل هو بحر مالح أو بحر عذب نقرأ قوله تعالى:

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي اليَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف ١٣٦).

إذاً، هذا النَّصُّ يحدد أن البحر الذي غرق فيه فرعون وجنوده، هو يمٌّ أي بحر عذب، وليس مالحاً، وهو نهر كبير.

وكلمة (يم) تدل على جهد أو قوة ممتدة بجمع متصل، ومنها كلمة أتت يمين، فكل يم هو بحر وليس كل بحر يم.

انظر قوله تعالى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه ٣٩)، فهذا اليم هو نهر كبير ممتد يصل في سيره إلى حيث يقيم فرعون.

والغرق أصاب كل جنود فرعون كما في النَّصِّ ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي اليَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف١٣٦، ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الزخرف ٥٥).

ولا يوجد دليل على نجاة أحد منهم بعد غرقه بخلاف فرعون، فإنه بعد أن غرق وكاد يموت أنجاه الله ليكون عبرة وآية لمن خلفه وشهيد على ما حصل معه ومع جنوده، ﴿فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس

٩٢)، والخطاب لحي وليس لميت والنجاة لا تكون لميت فهو قد هلك ولا يصح استخدام كلمة النجاة لجثة ميت.

وهذا يدل على أن فرعون أوشك على الغرق وفقد الأمل بالحياة ورأى جنوده يغرقون، ولكن أنجاه الرب ببدنه معافى، وهذا دلالة كلمة البدن فهي لا تستخدم لجثة الميت، وإنما تستخدم لسلامة وصحة جسم الحي، ولو كان ميتاً لا يصير آية لمن خلفه، ولاعبرة لهم بخلاف لو بقي حياً معافى ببدنه مهزوماً منكسراً ضعيفاً، وهلك جيشه فسوف يرجع ويشهد على ما حدث بنفسه وبروايته وإخبار قومه ما حصل معه وكيف غرق جيشه، وكاد يغرق هو أيضاً معهم ويثبت بنفسه بطلان دعواه الربوبية والألوهية.

ولم يقبل إيمان فرعون الذي صرح به وهو على وشك الغرق، لأنه إيمان لفظي غير حقيقي ونتيجة الخوف، وليس عن قناعة داخلية، ولو أراد الإيمان لآمن من قبل، وقد قامت عليه الحجة وأخذ وقته الكافي.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء ١٨).

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ المُسْلِمِينَ، آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾ (يونس ٩١).

وعندما يكون التابع في النار فالمتبوع أولى منه بدخولها، بل قبله في النار.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ (غافر ٤٦).

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (هود ٩٧).

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ﴾ (هود ٩٨).

مفهوم الظلمات والحوت في القرءان

كلمة ظلام وجمعها ظلمات لا تعني السواد أو الليل، ولو أن السواد والليل ينتج عنهما الظلام، فماذا تعني كلمة الظلام؟

ظَلَم: تدل على دفع ملتصق بحركة ثقيلة منتهية بجمع متصل، وظهرت ثقافياً بمعنى غياب النور والحق والصواب، وفي حال غاب النور والحق والصواب ظهر الضلال والضياع والخطأ والتخبط في الحكم أو التصرف، ومن هذا الوجه قالوا: إن الظلم هو وضع الشيء في غير مكانه، بمعنى مخالفة الحق والصواب في ذلك الفعل والوقوع بالضلال والباطل والخطأ والتخبط بالحركة.

وسمِّي الليل ظلاماً لتحقق نفي النور به، ونفي الرؤية، ونفي التمييز للأشياء عن بعضها، وكذلك السواد، ويمكن أن تأتي الظلمات في النهار معنوياً بغياب العلم والنور والمعرفة، والسير على غير هدى.

لنقرأ دلالة كلمة (الظلمات) بدلالة معنوية:

﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾ (إبراهيم ١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم ٥).

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ (الأحزاب ٤٣).

﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ

الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة ٢٥٧).

﴿يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة ١٦).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام ٣٩).

نلاحظ في النصوص السابقة أن كلمة (الظلمات) أتت بدلالة معنوية تقابل النور، وهي تعني غياب النور والحق والرشاد والوعي والصواب عن الذين كذبوا بآيات ربهم، وكلمة النور تعني الحق ووضوح الرؤية العقلية والعلمية للأشياء وفق منطق علمي حكيم.

وأتت كلمة (الظلم) بمعنى الضلال عن الحق أو الضياع أو التعمد في ترك الحق وإهماله، وهي التي قال عنها العلماء: وضع الشيء في غير مكانه.

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء ٤٠).

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة ٣٩).

وتأت كلمة (الظلمات) بمعنى مادي.

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام ٥٩).

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام ٦٣).

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل ٦٣).

فكلمة (الظلمات) في النصوص السابقة أتت بدلالة مادية متعلقة بنفي الرؤية أو الضياع والضلال عن معالم الشيء سواء أكان في النهار أو الليل أو البر أو البحر أو في غابة، فمن يسير دون هدى ولا ضوابط فهو يسير بظلمات ومآله الضياع والضلال، ويكون ذلك عادة في الليل أكثر من النهار، فمن يركب البحر دون هدى ولا علم ولا معالم تدل على طريقه، فهو يسير في الظلمات ولا يدري أين يسير فيه القارب سواء أكان الجو نهاراً أم ليلاً.

ولذلك جعل الخالق النجوم علامة للناس ليعرفوا طريقهم في البر والبحر ويهتدوا بها في الظلمات ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام ٩٧)، وعادة تظهر النجوم ليلاً ويحددون الطريق على موجبها، ويهتدون بها في ظلمات البر والبحر وفي الليل والنهار يستمرون بالسير على موجب الهداية والاستعانة بالشمس والتضاريس الطبيعية.

وهذا يعني أن النَّبيَّ يونس عندما نادى في الظلمات﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء ٨٧).

لا يعني أنه نادى من بطن السمك الكبير، وإنما يعني نادى وهو في حالة ضياع وضلال في البحر لا يعرف أي هدى أو علامة ليرجع للبر وينجو بنفسه.

مفهوم الحوت

كلمة حَوَت تدل على الأرجحة الشديدة والممتدة بانضمام مكانياً منتهية بضغط خفيف، وظهر ذلك بحركة الروغان والمناورة والحومان مع الامتداد مكانياً.

وكل ما يتحقق به هذا المفهوم يطلق عليه اسم (حوت)، وكتب المعاجم أتت باستخدام الكلمة وليس بمفهومها اللساني، وهذا الاستخدام ليس للحصر، ولا سقف لمعاني كلمة حوت.

فنقول عن السمك: إنه حوت سواء أكان صغيراً أم كبيراً لتحقق مفهوم كلمة (حوت) به في حركته بالماء.

ونقول عن التاجر القوي في السوق بحركته وخبرته ومناورته وحومانه: إنه حوت.

وجمع كلمة حوت حيتان.

حوت (الصحاح في اللغة)

الحوت السمكة، والجمع الحيتان

والحوت برج في السماء. وحات الطائر على الشيء يحوت، أي: حام حوله.

وحاوتني فلان، إذا راوغني.

إذاً، ليس كل كلمة (حوت) تعني سمكاً، ولا بُدَّ من قراءة الكلمة وفق السياق ومحل الخطاب لتحديد معنى كلمة (حوت) في هذا السياق.

لنقرأ:

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف ١٦٣).

كلمة (حيتانهم) ترجع للقوم كملكية لهم، ولا يكون السمك في البحر ملكية لأحد، ووفق السياق ومحل الخطاب هي قوارب الصيد فهي ملكيتهم وهي تأتيهم مشرعة ومحملة بالصيد الوفير، أما في غير السبت، فلا تأت مشرعة ولا يوجد صيد فيها، وهذا ابتلاء لهم وعقوبة لفسقهم.

وأطلق على قارب الصيد اسم الحوت، لأنه يتحرك بأرجحة شديدة للأعلى والأسفل واليمنة واليسرة ويناور ويراوغ ويمتد منضماً على ذاته مكانياً وإلى الأمام.

لنتابع:

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾ (الكهف ٦٣).

لا يوجد في النَّصِّ ذكر أن الحوت هو السمك، والمسافر لا يترك طعامه خلفه في العراء، والنَّصُّ يتكلم عن رحلة بحرية، وهذا يدل على أن الحوت هو قارب صيد يحمل النَّبيَّ موسى وفتاه وغداءهم.

وعندما وصل النَّبيُّ موسى وفتاه إلى اليابسة أويا إلى الصخرة ونسي الفتى أن يربط القارب الذي أتيا به كعادة صاحب القارب، وهذا يدل على أن الفتى لا يوجد عنده خبرة في قيادة القوارب مسبقاً، وعندما نزلا منه ترك القارب حيث هو فسحب التيار المائي القارب واتخذ سبيله في البحر سرباً، وتابع النَّبيُّ موسى وفتاه طريقهما وابتعدا عن مكان ترك القارب، وبعد فترة قال النَّبيُّ موسى لفتاه آتنا غداءنا؟ فتذكر الفتى فوراً أنه نسي أن يربط القارب والطعام كان فيه، فذكر ذلك للنَّبيِّ موسى، فقال النَّبيُّ موسى: هذا ما كنا نبغي، ورجعا للمكان ذاته فوجدا العبد الصالح بانتظارهما، وتتمة القصة معروفة وبصرف النظر عن أن القصة رؤية منامية أو حقيقة.

ووصلنا الآن لنص حوت النَّبيِّ يونس.

ينبغي أن نعلم أن الإنسان لا يمكن أن يعيش في بطن الحوت بمعنى السمك الكبير لانقطاع الهواء في داخله وقيام الحوت بهضمه، ولا يمكن أن يبقى النَّبيُّ يونس أو السمك الكبير إلى يوم يبعثون بمعنى يوم القيامة، فهذا فهم سطحي طفولي شائع، ولم يأت نص أن الحوت (السمك الكبير) بلعه أو أكله، فهذا تصور سطحي وإقحام معنى لم يأت في النَّصِّ، وسببه تبديل كلمة (الْتقم) بكلمة (بلع أو أكل) نتيجة انتشار ظاهرة الترادف بين معظم الباحثين، وهي إمكانية تبديل أي كلمة بأي كلمة أخرى دون أن يتغيَّر المعنى، وهذا عمل غوغائي عبثي ينقض حكمة الصياغة القرءانية.

فماذا تعني كلمة الْتقمه الحوت؟﴿فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الصافات ١٤٢).

لقم: تدل على حركة لازمة ثقيلة متوقفة بشدة منتهية بجمع متصل.

وظهرت ثقافياً بتلقيم السلاح بالذخيرة وهي وضع القذيفة في داخل السلاح بقوة واستقرارها فيه.

وظهرت بوضع جزء من الطعام في الفم وإطباقه عليها فتسمى لقمة، وتسمَّى العملية التلقيم، وإن قام بها الشخص بنفسه قلنا: الْتقم لقمة.

وسمِّي لقمان لقماناً، لأنه كان يلتقم الحكمة ويلقمها لقماً للناس في عقولهم والمعنى معنوي.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان ١٢).

وهذا يعني أن فعل (الْتقم) يدلُّ على التزام شيء بقوة وإضافته لشيء آخر ومسكه فيه.

فالتقام الحوت للنَّبيِّ يونس هو التزامه والتمسك به بقوة، وذلك حينما ألقوه في القارب فهو معنى الحوت بالقصة، وبطن الحوت هو بطن القارب، لأن كلمة بطن لا تعني بالضرورة العضو المنتفخ في الكائن الحي، فجوف كل شيء يسمى بطنه ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ (الفتح ٢٤).

وهذا يوصلنا إلى أن القرءان لم يستخدم كلمة (الحوت) بمعنى السمك قط مع صحة استخدامها لسانياً.

وبعد هذا التدبر لكلمات محورية في قصة النَّبيِّ يونس نأتي لتشكيل رؤية أقرب للصواب من خلال النصوص.

دعا النَّبيُّ يونس قومه فلم يستجيبوا له، فظن أنه قد أقام الحجة عليهم وانتهى دوره فغادرهم مسرعاً دون إذن من الله أو أمر، وظن أن الله بعلمه للحدث قد عذره ولا مانع من ترك قومه لكفرهم وعدم إيمانهم، وسرعان ما أبق للفلك المشحون.

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾ (الصافات ١٤٠).

كلمة (أبق) تعني: المغادرة بسرعة شديدة للمكان سواء عن هروب أو دونه.

كلمة (الفلك) تعني: السفينة سواء أكانت بشكل بدائي أم متطور.

كلمة (المشحون) اسم مفعول وتدل على الشيء المتجمع به ناس أو بضاعة كثيرة معدة للسفر أو الانتقال أو كلاهما. ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾ (يس ٤١).

وساهم مع القوم فدحض سهمه بمعنى بطل وزال ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ المُدْحَضِينَ﴾ (الصافات ١٤١)، وبصرف النظر عن الشيء الذي ساهم فيه، المهم خسر سهمه، وفقد ثقة أصحاب الفلك وقرروا التخلص منه، ولم يأت في النَّصِّ أنهم حملوه وألقوه في البحر، وإنما أتى ﴿فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الصافات ١٤٢)، وقد عرفنا دلالة كلمة (اللقم) وأنها تدل على الالتزام للشيء بقوة، وعرفنا كلمة (الحوت) أنها تدل على قارب صيد، ليصير المعنى المنطقي أن أصحاب السفينة أرغموه على مغادرة السفينة وتركهم وجعلوا له قارب صيد صغير، ويبدو أنه قاوم أو رفض ذلك، فقاموا بإلقائه في القارب رغماً عنه، وربما قيَّدوه أيضاً وألقوه في القارب فالْتقمه القارب ببطنه، وكان النَّبيُّ يونس ممتعضاً من فعلهم ومُليم لهم على هذه المعاملة له، وابتعدوا عنه وتركوه في عرض البحر دون هدى ولا علامات يستدل بها، وهو لا يعرف البحر أو الإبحار به وحده، ومضت عليه أيام يتعرض بها لحرارة الشمس وليالي يتعرض لبرد الليل، ونفد منه الماء والطعام وضاع وضل في ظلمات البحر لا يعرف أين يتحرك به موج البحر، وصار سقيماً وضعف جسمه مما يتعرض له، فالْتجأ إلى الله ونادى تائباً نادماً ﴿... فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء ٨٧)، فاستجاب الله له وأنجاه مما فيه.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي المُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء ٨٨).

أما قوله تعالى: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الصافات١٤٤، فلا تعني أن النَّبيَّ يونس كان في بطن الحوت السمك الكبير لما ذكرناه سابقاً أن ذلك فهم طفولي سطحي مستبعد، ولا تدل كلمة (يبعثون) يعني يوم القيامة، لأن النَّبيَّ يونس أو الحوت بمعنى السمك لن يبقيا طول هذه الفترة، وسوف يموتان كلاهما ضمن الزمن الموجودين.

وهذا يدل على أن النَّصَّ له مفهوم آخر، ووفق ما ذكرنا من أحداث القصة يكون مفهوم النَّصِّ هذا الأقرب للصواب هو: أن النَّبيَّ يونس سوف يبقى في ظلمات البحر ضائعاً

وضالاً حتى ييسر الله له قوم يبعثهم له ويجدوه وينقذوه، وهذا قد يطول كثيراً، ولكن كونه تاب وندم واعترف بذنبه، ونادى الله عزَّ وجل فقد أنجاه بطريقة نبذ قاربه إلى اليابسة، ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (الصافات ١٤٥).

ووجده قوم يوجد بينهم علاقات قاطنين في المكان هذا فاعتنوا به وعالجوه حتى قوي واسترد عافيته﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ (الصافات ١٤٦)، وقام ورجع لقومه يدعوهم إلى الله فاستجابوا له وآمنوا بالله. ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (الصافات ١٤٧-١٤٨).

لذا، ينبغي عدم نشر القصة الطفولية والمخالفة للمنطق عن ابتلاع الحوت (السمك الكبير) للنَّبيِّ يونس وتوقيف هذه المهزلة، وعدم إعطاء مبرر للملاحدة وغيرهم من السخرية من القرءان وقصصه التي يعرضها معظم المفسرين مثل أفلام كرتون والسندباد البحري!

وبناء على هذا العرض يمكن أن ندرس ونتدبر باقي النصوص مثل هذه:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (الزمر ٦).

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (النور ٤٠).

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمَّد ٢٤).

اليـهـود وخـرافـة السـامـيـة

خلط اليهود أوراق التاريخ، محاولين طمس الحقائق، وكادت المؤامرة تنجح، **ولكن نزول القرءان فضح أكبر مؤامرة نسج اليهود خيوطها عبر التاريخ، وسجلوها افتراءً في التلمود وصحفهم، وذلك عندما دمجوا شخصية إسرائيل بالنَّبيِّ يعقوب، وعدّوا أنفسهم بني إسرائيل، ورفعوا نسبهم إلى النَّبيِّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وخلطوا بين بني إسرائيل، وطائفة اليهود، حتى صار في ثقافة الناس، أن كليهما واحد، وبهذه العملية، أوجد اليهود لأنفسهم موطئ قدم في قمة التاريخ الإنساني بانتسابهم إلى الأئمة الكبار في المجتمعات الإنسانية، الذين هم النَّبيُّ يعقوب، وإسحاق، وإبراهيم – عليهم السلام جميعاً–، وانتحلوا هوية بني إسرائيل، وسموا ملتهم اليهودية، ديناً.**

وكان القرءان لهم بالمرصاد فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (آل عمران ١٩)، وأكّد أن دين جميع الأنبياء والرسل كان الإسلام، وأن الله لم يُنزل ديناً غيره ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة ١٣٢).

فلا يوجد ما يُسمَّى بتعدد الأديان، فالله واحد، ودينه واحد، وكذلك الشرع الإسلامي أيضاً واحد، وهو الذي بدأ نزوله منذ نوح وتم إكماله بالقرءان، أما مجموعة الشرائع الخاصة التي كانت تتنزل على الرسل السابقين، فهي قومية عينية ظرفية تُعدّل وتُنسخ من رسول إلى آخر، وتتقلص لصالح الشرع الإسلامي، إلى أن تم إلغاؤها كلها بعد اكتمال الشرع الإسلامي بصفته العلمية، والإنسانية، وصار شرعاً كاملاً. **فلا يوجد دين، أو شرع إلهي اسمه اليهودية، أو غير ذلك، وإنما يوجد دين الإسلام.**

وتابع فضح مؤامرتهم، وادعاءهم أنهم من نسل النَّبيِّ نوح، فقال:﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران ٣٣)، واصطفاء آدم يدل على وجود ناس معه تم الاصطفاء له من دونهم، لأن الاصطفاء لا يمكن في الواقع إلا من خلال وجود كثرة من ذات النوع، اقرأ قوله تعالى:

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ (مريم ٥٨)، فالنَّصُّ ذكر **ذرية آدم**، وذكر ذرية من **تم حملهم مع نوح**، وهذه إشارة إلى أن هؤلاء ليسوا من ذرية آدم المصطفى، وإلاَّ صار النَّصُّ حشواً، ولغواً، وتكراراً لا فائدة منه، ونتفق أن النَّصَّ القرءاني منزه عنه؛ ما يؤكد أن الذين حملهم نوح معه، ليسوا من ذرية آدم المصطفى، وإنما من ذرية من كان يعيش معاصراً لآدم المصطفى!، ليصير من ركب مع نوح **ذُرِّيتين:** ذرية **آدم المصطفى - ونوح** منهم -، وذريةَ من كانوا **معاصرين لآدم المصطفى من آدم آخر سابق عنه.**

وعندما تابع النَّصُّ ذكر (ومن ذرية إبراهيم)، دل على أن النَّبيَّ إبراهيم من ذرية آدم المصطفى من غير طريق نوح، وتم ذكر ذريته بعد ذكر ذرية آدم في أول النَّصِّ (من ذرية آدم) من باب ذكر الخاص بعد العام، أي: من الدائرة الكبيرة المتمثلة بآدم، إلى دائرة أصغر متمثلة بإبراهيم، بجانب دائرة نوح، وذكر النَّصُّ (إسرائيل) معطوفاً على (ومن ذرية إبراهيم) ليصير المقصد (ومن ذرية إسرائيل)، ليدل على أن إسرائيل ليس من ذرية إبراهيم، وليس من ذرية نوح - عليهما السلام -، وإنما هو من ذرية من تم حملهم مع نوح، ولم يتم تكرار كلمة (ذرية) لإسرائيل إشارة - والله أعلم - إلى أن إسرائيل كان معاصراً للنَّبيِّ إبراهيم ولتداخل ذريتهما معاً.

وبهذا التحليل العلمي الدقيق للنص القرءاني تم فضح النظرية السامية لليهود، وزيفها، ودحض مزاعمها سواء عن طريق ذرية إبراهيم، أو ذرية الرجل الصالح إسرائيل، فكلاهما لا ينحدران من نوح، وتابع النَّصُّ القرءاني تصويب التاريخ، فذكر أن جميع الأنبياء والرسل هم من ذرية نوح وإبراهيم، أو من أحدهما:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ

مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد ٢٦).

وذكر أن ذرية آدم المصطفى، ونوح، وإبراهيم، وعمران، قد تداخلت ببعضها من خلال عملية التزاوج، ومع ذلك التداخل تم جعل النُّبوَّة والكتاب في ذرية نوح وإبراهيم رغم انتماء بعض الأنبياء إلى ذريات أخرى من طرف الآباء، أو الأمهات، قال تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ *ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران ٣٣ - ٣٤).

ومِن هؤلاء الذين كانوا من ذرية ممن حملنا مع نوح (أي لمن كانوا معاصرين لآدم المصطفى) النَّبيُّ موسى وذلك عن طريق والده، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً *ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ (الإسراء ٢-٣).

والعبد الشكور، هو النَّبيُّ موسى، لأن النَّصَّ يتكلم عنه، وبالتالي هو من (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ)، الناس الذين كانوا معاصرين لآدم المصطفى.

وإذا قمنا بعملية تقاطع بين نص جعل النُّبوَّة والكتاب بذرية نوح وإبراهيم، ونص تداخل الذرّيات، ونص أن موسى من ذرية غير ذرية آدم المصطفى، وبالتالي ليس هو من ذرية نوح وإبراهيم بصورة صافية، نستنتج حصول تداخل بين ذرية آدم المصطفى، وذرية من كانوا معاصرين له، وكان نتيجته ولادة موسى، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام ٨٤).

فيكون النَّبيُّ موسى من ذرية نوح من طرف أمه، بدليل ذكره بعد النَّبيِّ يوسف، وبدليل ذكر داود وسليمان وأيوب قبله رغم أنهم جاؤوا بعده زمنياً؛ ما يدل على وجود شبه بين يوسف وموسى في نسبهما لنوح، والنَّبيُّ يوسف من ذرية إبراهيم من طرف أبيه يعقوب، فيكون النَّبيُّ **يوسف من ذرية نوح من طرف أمه**، وكذلك موسى وهارون، فيكون الطرف الآخر **لموسى (والده) من ذرية من حملنا مع نوح**، الذين هم من ذرية الذين عاصروا آدم المصطفى، وبالتالي، فالنَّبيُّ موسى ليس من بني إسرائيل بشكل صاف ولو أنه بُعث فيهم،

ولهم، ولا يوجد نص صريح يذكر أن **التوراة نزلت عليه**، وإنما أوتي صُحُفاً، انظر قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى ١٩).

أما إسرائيل، فهو رجل من ذرية من حملنا مع نوح، وليس من ذرية إبراهيم، ولم يخبرنا الخالق أنه بعث أحداً من ذريته نبياً أو رسولاً أبداً، وبالتالي لا يوجد أنبياء ولا رسل من ذرية إسرائيل بصورة صافية، وإنما بصورة متداخلة مع غيره.

وآل عمران ذرية نتجت من خلال تداخل ذرية نوح، وذرية إبراهيم عن طريق يعقوب، وجاء منهم زكريا وابنه يحيى، وعيسى، وإلياس.

والأسباط ليسوا إخوة يوسف، وإنما هم من ذرية يعقوب، وقد أوحي إليهم بالنُّبوَّة والكتاب، أما اليسع، ويونس، ولوط، وإسماعيل، وإدريس، وذو الكفل فليسوا من ذرية النَّبيِّ إبراهيم، والنَّبيُّ شعيب دائماً يُذكر بعد النَّبيِّ لوط؛ ما يدل على أنهما يرجعان بنسبهما إلى نوح ضرورة حسب النَّصِّ الذي حصر النُّبوَّة والكتاب في ذرية نوح وإبراهيم، وينبغي مراعاة عامل اختلاف الزمن في بعثة الأنبياء والرسل، وتداخل ذرية نوح مع ذرية إبراهيم.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ﴾ (الأنعام ٨٦).

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنبياء ٨٥).

وكان الأنبياء والرسل يُبعثون إلى أقوامهم، وبنو إسرائيل معهم ضمناً، وخص الخطاب بني إسرائيل، لأنهم أكثر عدداً وذرية، فهم البُنية التحتية للقبائل العربية مع احتفاظ ذرية نوح وإبراهيم بمقام النُّبوَّة والكتاب، ومشاركتهم في مقام السلطة والمُلك في بني إسرائيل على الغالب، ومن هذا الوجه ورد الحديث الذي يقول: (**كان بنو إسرائيل يقودهم الأنبياء، كلما هلك نبي، بعث الله آخر**).

فأين اليهود من كل ذلك !؟

لا يوجد أي نسب أو تاريخ لليهود أبداً!، وإنما هم طائفة عنصرية ذات نشأة مشبوهة وتاريخ أسود، ومغضوب عليهم، وهم الشجرة الملعونة في القرءان (المجتمع اليهودي)، وهم تجمع من مختلف الأعراق يجمعهم الحقد والنقمة على المجتمعات الإنسانية.

وبعد هذا العرض التاريخي الموجز بناء على التوثيق القرءاني له، ينبغي على المسلمين العرب أن يستيقظوا، وأن يدركوا حقيقة الخطب الجلل، والمُصاب الفادح، والمؤامرة الرهيبة، التي حاك اليهود خيوطها في سالف الأزمان، وجَعَلوها عقيدة للأجيال اليهودية اللاحقة، وصارت لهم ديناً من دون الناس أجمعين، فلهم إله خاص بهم (يَهوَه) ولهم شرع خاص بهم، فما هو حرام بينهم يكون حلالاً مع غيرهم، وجعلوا طائفتهم بوتقة مُغلقة غير قابلة للفتح، فاشترطوا لليهودي، أن يكون من والدَين يهودِيَّين أو والدته يهودية على الحد الأدنى، وحرَّموا دمهم وعرضهم ومالهم فيما بينهم، وأباحوا دماء، وأعراض، وأموال الناس جميعاً، بل وبيع أعضاء الإنسان من خلال خطف أطفال المجتمعات غير اليهودية، خاصة الفلسطينية والمغربية في سابقة عنصرية فاشية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً.

لذا، **ينبغي أن يعلمَ المسلمون العرب (بنو إسرائيل)، ويُعَلِّموا أولادهم في المدارس، والمؤسسات التربوية، والفنية، والإعلامية، ما يلي:**

١. النَّبيُّ يعقوب ليس إسرائيل.

٢. إسرائيل رجل صالح ليس من ذرية إبراهيم، ولا من ذرية نوح، وهم من ذرية من حملنا مع نوح من آدم غير آدم المصطفى.

٣. أنزل الله ديناً واحداً هو الإسلام، وتراكم واكتمل شرعه تاريخياً، وتم جمعه في القرءان. لذا، لا يوجد دين اسمه اليهودية، ولا غيره، وبالتالي ينبغي إبطال فكرة تعدد الأديان السماوية. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ آل عمران١٩.

٤. بنو إسرائيل هم من العرب (قريش وغيرهم) أهل المنطقة، أتباع النَّبيِّ موسى وعيسى، ومعظمهم أضاف لاتِّباعه الأول اتِّباع النَّبيِّ محمد.

٥. الخطاب في القرءان (يا بني إسرائيل)، إنما هو خطاب للعرب أتباع الأنبياء والرسل، وبالتالي التفضيل أتى لهم، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة ٤٧).

٦. الأرض المقدسة أم القرى هي بلاد الشام الكبرى ومكة خاصة.

٧. جهة الحج، وقبلة الصلاة لجميع الأنبياء والرسل في تاريخ الإنسانية هي المسجد الحرام (مكة).

٨. فلسطين أرض عربية أصيلة، وسكانها هم بنو إسرائيل، أتباع الأنبياء والرسل، وهم عرب تداخلت ذرياتهم مع ذرية نوح وإبراهيم - عليهم السلام جميعاً-.

٩. اليهود ليسوا من بني إسرائيل، ولا من ذرية نوح، ولا من ذرية إبراهيم، ولا هم من العرب أساساً، وإنما هم غرباء، ودُخلاء على المجتمع العربي، إلا من تَهَوَّد من العرب (من بني إسرائيل) واتبع ملتهم.

١٠. تحرير مصطلح، ومفهوم (بني إسرائيل) من اليهود، وإرجاع استخدامه لأهله من العرب، ودحض الفرضية السامية لليهود.

١١. كشف زيف، وافتراء، وانتحال اليهود هوية بني إسرائيل ليجدوا لهم موطئ قدم في التاريخ، ولتمتدَّ جذورهم في المنطقة العربية.

١٢. نفي الدين اليهودي، واستخدام كلمة (الملة)، وإرجاع اليهود إلى حقيقتهم، طائفة إرهابية دموية عنصرية.

١٣. **رفض تسمية السلطة اليهودية، بدولة إسرائيل، وينبغي تسميتها بالكيان الغاصب اليهودي**، ونشر ذلك في الثقافة، ووسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، والمكتوبة، كخطوة على طريق اجتثاث الثقافة اليهودية، وإحلال الثقافة الإسلامية العربية محلَّها، وتحصين أجيالنا ضد التلوث الثقافي اليهودي.

١٤. عدم الرُّكون في الدراسة التاريخية، أو العلمية، نحو مسألة (تاريخ الأنبياء أو نشأة الخلق) على كتب اليهود، أو التلمود خاصة، أو المراجع التي تأثرت بهما أبداً، **واعتماد القرءان والعلم كمرجعين لا بُدَّ منهما، ولا غنى عنهما أبداً؟**.

١٥. إعادة صياغة التاريخ، وإرجاع الهوية العربية الإسلامية إلى أصالتها وربطها في المنطقة العربية.

١٦. التأكيد على أن العرب قاطبة هم من ذرية نوح، وذرية إبراهيم، وذرية إسرائيل،

وبالتالي فأئمة التاريخ الإنساني، نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وجميع الأنبياء والرسل، إلى خاتم النَّبِيِّين محمَّد - صلوات الله عليهم جميعاً - هم من العرب القاطنين في المنطقة العربية، شبه الجزيرة العربية (بلاد اليمن الكبرى وبلاد الشام الكبرى).

١٧. **تحرير القرءان من هيمنة التلمود على تفسيره وفهمه، فمعظم المفسرين ينظرون إلى القرءان من منظور تلمودي، حتى صار القرءان للتلاوة على الأموات، والتلمود للدراسة والفهم، وتم اختراق النَّصِّ القرءاني بواسطة وضع التلمود تحت النَّصِّ القرءاني، وبين ظلاله، فصارت ثقافة المسلمين العرب ثقافة يهودية، يتحاكمون إليها، ويضربون بالنَّصِّ القرءاني عرض الحائط من حيث لا يشعرون.**

١٨. التنبيه إلى أن قبلة اليهود (جهة الشمال)، والنصارى (جهة الشرق)، هي قبلة فلكية، لا علاقة لها بأي مكان في الأرض، لا فلسطين ولا غيرها.

١٩. ضبط مفهوم كلمة (العرب)، وتخليصها من سيطرة الفكر القومي عليها، وإرجاعها إلى الأصالة، والنقاء، والطهارة، والانسجام مع الكون والإنسان والإسلام.

٢٠. توضيح دلالة كلمة (يهودي) في كل وسائل الإعلام والتربية والتعليم كعقيدة متطرفة - لا علاقة لها بالعرق أو بالنسب-، ومنغلقة على ذاتها، وأحادية النظرة، وسلفية الثقافة، وإرهابية في تعاملها مع الآخر، وتهدف إلى تسخير الشعوب لخدمتها، فهي أكبر كلمة تحتوي ذماً، وقدحاً، وشتماً!.

٢١. توضيح دلالة كلمة (نصراني) في وسائل الإعلام والتربية والتعليم كعقيدة متطرفة - لا علاقة لها بالعرق أو بالنسب- تقوم على التعصب للرأي ونصرته على الآخرين دون برهان، ولا تمثل المسيحيين أتباع النَّبيِّ عيسى عليه السلام.

٢٢. ينبغي العلم أنه يوجد ثلاثة مناهج للتفكير والدراسة في تاريخ الإنسانية: **منهج اليهودية، ومنهج النصرانية، ومنهج الإسلام الحنيف**، وما سوى ذلك يندرج كله تحت أحد هذه المناهج مهما تعددت الأسماء والصفات.

٢٣. أتباع النَّبيِّين موسى وعيسى من بني إسرائيل لا يهود ولا نصارى، وإنما هم مسلمون.

٢٤. صفة المسيحية هي للنَّبيِّ عيسى المسيح، والمسيحيون مسلمون، بخلاف النصارى.

٢٥. النَّبيُّ موسى وعيسى بُعثا لبني إسرائيل، وبنو إسرائيل هم أرومة القبائل العربية، ونواة الإنسانية؛ ما يدل على أن النَّبيِّين موسى وعيسى بُعثا للعرب خاصة، وللناس عامة، وأُكملت دعوتهما ببعث النَّبيِّ الخاتم محمَّد لبني إسرائيل (القبائل العربية) في شبه الجزيرة العربية.

أيها العرب المسلمون ! يا أبناء آدم المصطفى، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وإسرائيل، يا أبناء الأئمة المهديين! تنبهوا، واستفيقوا، فإن الخَطب عظيمٌ.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾ (البقرة ٤٧)، وهذا الخطاب للعرب بامتياز، لا علاقة لليهود فيه، لا من قريب ولا من بعيد، فهم لم يُنعم الله عليهم شيئاً، ولم يفضلهم على العالمين، بل غضب عليهم، ولعنهم، وجعلهم قردة (التقليد الأحمق)، وخنازير (دناءة وفساداً وخبثاً) !.

فما بالكم أيها العرب المسلمون ! يا أبناء الأئمة والأنبياء والرسل ! تجعلون خطاب التفضيل في القرءان، لليهود !؟ وتتنازلون عن هويتكم (بني إسرائيل) إليهم، ومع ذلك تريدون أن تحاربوهم، وأنتم أذلة، وتعترفون بثقافتكم المنحولة بحقِّهم في الوجود على أرض فلسطين العربية، وذلك من خلال اعترافكم بأنهم بنو إسرائيل، ومن ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ومن ذرية نوح !.

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم

﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هوَ الهُدَى...﴾ (البقرة ١٢٠).

إن هذا النصَّ القرءاني قد أنزله الخالق العليم بدخائل النفوس وطبائعها﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ (الملك ١٤)، يخبر نبيه محمَّد القائد الاجتماعي للأمة حينئذ، وكل قائد سياسي يأتي بعده إلى يوم الدين. بأن معشر اليهود - المتمثل حالياً بالكيان الصهيوني -، ومعشر النصارى- المتمثل حالياً بأمريكا ومعظم دول أوروبا- لن يرضوا عن سياسة القائد المسلم مهما تنازل ما لم يتبع ملتهم، وما ينبثق عنها من سياسة تخدم مصالحهم، والذي يؤكد ذلك الوصف الإلهي، تلك الممارسة السياسية المهادنة التي تبناها بعض قادة الشعب الفلسطيني، فأهدرت دماء شباب الأمة، وتنازلت عن كل شيء، ومع كل ذلك لن يحظوا بمرضاة اليهود، مصداقاً لقوله تعالى في وصف اليهود﴿وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (آل عمران ٧٣) حتى إذا ما انتهى دور هؤلاء السياسيين المهادنين ألقى اليهود بهم جانباً، لأنهم ليسوا منهم أصلاً، ولا ثقة لهم إلا بمن كان من ملتهم التي جعلوها ديناً لهم.

ورغم تحذير الله المسلمين من أن يُصابوا بالمرض ذاته، غفلوا وأصيبوا به، وصار لسان حالهم (ولن ترضى عنك الشيعة ولا السنة حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى) !، وانتشر بينهم منهج التهود والتنصر.

لذا، مسألة نيل رضا اليهود أو النصارى، وكذلك (الشيعة أو السنة) ضرب من المحال، لأن ذلك منوط بتنازل الأمة العربية عن كيانها السياسي، والسير في قضية التطبيع اليهودي

للوطن العربي كله، من المحيط إلى الخليج، ومضمون هذا التطبيع، فتح سوق استهلاكي في الوطن العربي، يضمن تصريف منتجات اليهود بشكل خاص، وأمريكا وأوروبا بشكل عام، لأن التطبيع الثقافي بما تحمل هذه الكلمة من معان واسعة من الفكر والأدب والأخلاق والتاريخ والفن، أضعف من أن يقوم اليهود به، وذلك راجع إلى أصالة الثقافة العربية الإسلامية المتمثلة بالقرءان.

وربط التطبيع بعملية السلام، والإصرار عليه يكشف نوايا اليهود، والأبعاد التي ينظرون إليها. لأن التطبيع هو عملية استعمار من نوع آخر، والدول العربية التي تقع في فخ التطبيع، تصير امتداداً لدولة اليهود الطائفية، وحارساً أميناً لها من غضب الشعوب، وذلك لذهاب كيانها السياسي، وتشرع أبواب البلاد على مصراعيها لتصريف الإنتاج اليهودي؛ ما يضمن لليهود الاستمرار، والاستقرار في قلب البلاد العربية، وتحقيق حلم اليهود بإيجاد أمة لهم على أرض جغرافية ذات حضارة وثقافة أصيلة، ويضمن الغرب النصراني الصليبي عدم قيام المارد العربي من جديد.

وهذا التطبيع هو الذي أشار إليه الخالق بقوله السابق: (**حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**) فالاتِّباع لليهود هو الرضوخ للتطبيع، ولن يقبل اليهود بديلاً عنه مهما طال الزمن، لأن التطبيع يضمن استمرار وجود الدولة اللقيطة في المنطقة، ويضمن سيادتها، ويُصيب المجتمع العربي بالتخلف العلمي، والانحلال الأخلاقي والقِيَمي ؛ ما يؤدي إلى عدم قيام نهضة حقيقية تُرجع للعرب مقام الخلافة لهم في الأرض، وقيادة الناس بالفكر والعلم، والعدل والسلام، وعمران البلاد وحرية العباد.

وينبغي أن نعلم كيف ينظر اليهود لغيرهم، وكيف يتعاملون معهم؟

نجد جواب ذلك في أهم كتاب لهم (**دليل المحتار**) **لابن ميمون**، وهو أعظم كتاب في الفلسفة اليهودية، **ينظر إلى غير اليهود بأنهم بهائم بصور بشرية، وبالذات من يتصفون باللون الأسود**، وعندما تُرجم الكتاب إلى الإنكليزية، وطُبع في أمريكا طبعة شعبية عام ١٩٢٥م، تُرجمت كلمة (كوشيم kushim) التي تعني (سود) بكلمة (كوشيتيين Kushites) التي لا تعني شيئاً، والحاخام لا يوضحها أثناء الطقوس الدينية أو دراسة الكتاب.

ومع ذلك دعم الحاخامات حملة (مارتن لوثر كنغ) وذلك لكسب دعم السود في أمريكا لمصلحة اليهود ودولتهم في فلسطين!.

وهذا يفسر سبب دعم اليهود لـ (أوباما) رئيس أمريكا الحالي رغم أنه أسود!.

ففي معتقد اليهود كل الناس غير اليهود هم بهائم بصور بشرية، وأنجاس، وشياطين خُلقوا من أجل أن يسخرهم اليهود لخدمتهم وخاصة السود!، وجُعلوا بصورة بشرية حتى يَسهل التعامل معهم، ولا يجوز مؤاكلتهم، أو الاختلاط بهم، أو الزواج منهم، أو التعامل التجاري معهم، أو معالجتهم من الأمراض، أو دفنهم في مقابر اليهود... إلخ، ويجوز التساهل في بعض الأمور معهم لتحقيق مصلحة لليهود، أو تَقِيَّةً لحين التمكين.

لذا، **ينبغي أن نعرف أن اليهود ليسوا أصحاب سلام حقيقي، وما المفاوضات والمؤتمرات إلا لعب بعامل الوقت، وأي معاهدة أو اتفاق يُبرمونها تكون غير ملزمة لهم، وإنما مناورة يستخدمونها لكسب الوقت وإطالة عُمر دولتهم**، ويعملون على تفريق القوى من حولهم، والحرص على عدم وحدتهم، وزرع الخلاف والكره بينهم لينشغلوا ببعضهم، وينصرفوا عن مجابهة دولة اليهود، ويعملون على خلق أزمات أو حروب أخرى في أماكن مختلفة، مثل أزمة العراق ولبنان والسودان وجزر الإمارات مع إيران... إلخ، انظر إلى قول اللورد كرومر: (**نحن لا نحكم مصر، وإنما نحكم حُكّام مصر**) !. **وهذا ينطبق على معظم حُكّام العرب!.**

لذا، كان من الطبيعي ألا تنفرد دولة عربية واحدة في اتخاذ القرار، أو البتِّ في القضية، **ولا بُدَّ من اجتماع الأسرة العربية، والإسلامية، ليتفقوا فيما ينبغي أن يعملوه من أجل القضية الفلسطينية التي استُخدِمَت لتغييب القضايا الأخرى، والسكوت عنها، وعلى رأسها مفهوم الخلافة للإنسان المسلم في الأرض، وضرب وحدة الأمة العربية وتجزئتها، وإلهاء الأمة دولاً وشعوباً بفلسطين المحتلة، وكأن العراق، ولبنان، والصومال، والسودان، وموريتانيا، والأحواز، ولواء إسكندرون... إلخ! ليست قضايا عربية.**

ومن هذا المنطلق تبرز أهمية تفعيل الدور العربي، والإسلامي بالتعاون مع الدُّوَل الصديقة ذات الاتجاه الإنساني، فكما أن القوى في العالم آلت إلى تكتلات كبرى، والفرد لا

يستطيع أن يقف في وجه التكتل، يجب على العرب والمسلمين أن يتكتَّلوا ليجابهوا التَّكتُّل بالتَّكتُّل.

ففي عالم متصارع، لا يحترم الصغار، يجب أن نكرس كل قدراتنا الإيمانية، والإنسانية، والعلمية، والعملية، والثقافية، للارتقاء بأمتنا إلى مصافِّ كبار الكبار.

أهم المراجع

١. كتاب رب العالمين (القرءان الكريم).

٢. علمية اللسان العربي وعالميته. دمشق، سامر إسلامبولي

٣. العرب والساميّون والعبرانيّون وبنو إسرائيل واليهود. دمشق، أ. أحمد داوود.

٤. تاريخ سورية القديم. دمشق، أ. أحمد داوود.

٥. تاريخ سورية الحضاري القديم. دمشق، أ. أحمد داوود.

٦. التوراة جاءت من جزيرة العرب. بيروت، د. كمال الصليبي.

٧. نداء السُّراة اختطاف جغرافيا الأنبياء. جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في البحرين، نشر دار كيوان، دمشق ٢٠٠٩.

٨. مسخ الصورة، سرقة وتحريف تراث الأمة. جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في البحرين، نشر دار كيوان، دمشق ٢٠٠٩.

٩. طوفان نوح. جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في البحرين، نشر دار كيوان، دمشق ٢٠٠٩.

١٠. رد على اليهودية واليهودية المسيحية، أ. ندرة اليازجي.

١١. دراسة نفسية للعقيدة اليهودية، أ. ندرة اليازجي.

١٢. حوارات مع الباحث أ. خالد حمد، صاحب دار يعرب للنشر والدراسات الإسلامية في دمشق.



سـامر بن محمَّد نزار إسـلامبـولي

- تولُّد: دمــشق، ســورية/ ١٩٦٣/ م.
- باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي.
- عُضو في اتِّحاد الكُتَّاب العرب.

نشر له مقالات في مجلَّة العالم، ومجلَّة إسلام ٢١، ومجلَّة شباب لك، وجريدة الوقت البحرينية، وجريدة المثقف، وجريدة الأسبوع الأدبي...

مُؤلّفاته حسب تاريخ صدورها:

١. **علْم الله وحرية الإنسان**، دمشق، دار الأهالي، ط١ / ١٩٩٤ / م.

٢. **الآحاد - الإجماع - النسخ**، دراسة نَقْدية لمفاهيم أصولية، دمشق، دار الحكمة، ط١ / ١٩٩٥/ م، دار الأوائل، ط ٢ / ٢٠٠٢/ م.

٣. **الألوهية والحاكمية**، دراسة علمية من خلال القرءان الكريم، دار الأوائل، دمشق، ط١ / ٢٠٠٠.

٤. **تحرير العقل من النقل**- قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، دار الأوائل، دمشق، ط١/ ٢٠٠٠/ وط٢ / ٢٠٠٣/ م، دار العرّاب ودار نور حوران ط٣ / ٢٠١٨.

٥. **المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحَّح**، دار الأوائل، دمشق، ط١/ ١٩٩٩/ وط٢ / ٢٠٠٢م.

٦. **ظاهرة النَّصِّ القرءاني تاريخ ومعاصرة** (ردّ على كتاب: النصّ القرءاني أمام إشكالية البنية والقراءة للطيب تيزيني)، دار الأوائل، دمشق، ط١/ ٢٠٠٢/ م.

٧. **القرءان بين اللُّغة والواقع**، دار الأوائل، دمشق، ط ١/ ٢٠٠٥/ م.

تقديم الأستاذ: د. سمير إبراهيم حسن، عميد كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانية في دمشق، والأستاذ: د. محمَّد الحبش، مدير مركز الدراسات الإسلامية في دمشق.

٨. **القرءان من الهجر إلى التفعيل**، دار الأوائل، دمشق، ط١/ ٢٠٠٨/ م.

٩. **غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري لا قرآني**، ٢٠٠٨م.

١٠. **مفهوم السنة غير الحديث**، ٢٠٠٨م.

١١. **دراسة إنسانية في الرُّوح والنَّفْس والتفكير**، تقديم الأستاذ: جودت سعيد، والأستاذ: ندرة اليازجي.

١٢. **علْمية اللسان العربي وعالميّته**، تقديم الأستاذ: د. مازن الوعر.

١٣. **حوارات ثقافية.**

١٤. **ميلاد امرأة** (قصة نَفْسية واجتماعية)، تقديم الأستاذ: ندرة اليازجي.

١٥. **فتاوى أزهرية وأفكار فلسفيَّة** (قَصَص قصيرة).

١٦. **مفاهيم ثقافية** (الله، الحرية، الشيء، العدم، الموت، الثالوث، التقمص).

١٧. **اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي.**

١٨. **نبي الإسلام غير نبي المسلمين.**

١٩. **مسودة مشروع ثقافي راشدي.**

٢٠. **أسطورة نزول المسيح أو شبيهه.**

٢١. **الإلحاد موقف نفسي وليس فكراً.**

عنوان الباحث

السويد: 0046734233031

البريد الإلكتروني: s.islambouli@gmail.com

هذا الكتاب:

درج جمهرة من فقهائنا على دراسة القرءان بموجب عدسة المجهر التلمودي؛ ما أدّى كنتيجة حتمية إلى زحزحة القرءان، وإحلال التلمود محله في بناء المفاهيم الإسلامية، وصياغة التاريخ، وبذلك يكون قد نجح اليهود في تحريف القرءان من حيث الفهم والدراسة، وجعلوا النَّصَّ القرءاني جسداً هامداً، للتلاوة الصوتية فقط، وكرسوا التلمود للدراسة والتدبر، وصار المسلمون يعتمدون في دراستهم على كل شيء سوى القرءان.

فنحن أمة نتلو ألفاظ القرءان، ونقرأ التلمود، وبمعنى آخر، ننظر إلى القرءان بعيون يهودية!، وقد صيغت الشخصية الإسلامية بثقافة يهودية، **فظاهرنا إسلام، وباطننا يهود**، وها هي المراجع الثقافية، تعج بالمادة اليهودية، ابتداء من تفاسير القرءان، وانتهاء بكتب الأحاديث، التي جردت القرءان من المصدرية التشريعية، والعلمية، وجعلته مُعلقاً على الجُدر، ويُتلى على الأموات فقط!.



سامر بن محمد نزار إسلامبولي

ولادة دمشق ١٩٦٣، سوري الجنسية، مقيم في السويد

باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي

عضو في اتحاد الكتّاب العرب في سورية منذ عام ٢٠٠٨

بلغت مؤلفاته حوالي عشرين كتاباً من أهمها:

• دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير. • علمية اللسان العربي وعالميته. تقديم الدكتور مازن الوعر.

• تحرير العقل من النقل. • القرآن من الهجر إلى التفعيل. • اليهودية إنغلاق فكري وإرهاب اجتماعي.

القصص

• ميلاد امرأة (قصة نفسية واجتماعية) • أفكار فلسفية وفتاوى أزهرية. مجموعة قصص قصيرة

المؤتمرات التي شارك فيها

• مؤتمر حقوق الإنسان الذي أقامته جمعية التجديد الثقافية البحرينية في عام ٢٠١٠ في البحرين عنوانها: الحريات وحقوق الإنسان. • ندوة الملتقى الثاني لكُتّاب التنوير في مركز الدراسات الإسلامية في دمشق عام ٢٠٠٦.

• ألقى محاضرات في المراكز الثقافية.

مقالاته المنشورة في الدوريات والصحف

• مجلة العالم تصدر في لندن، مجلة إسلام ٢١ تصدر في لند. • مجلة شباب لك تصدر في دمشق، جريدة الوقت البحرينية. • جريدة المثقف البحرينية. • جريدة الأسبوع الأدبي التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق.

منتدى الباحث سامر اسلامبولي: https://www.facebook.com/groups/170302883083402

الصفحة الرسمية: http://cutt.us/TroyV الإميل: s.islambouli@gmail.com موبايل: 0046734233031